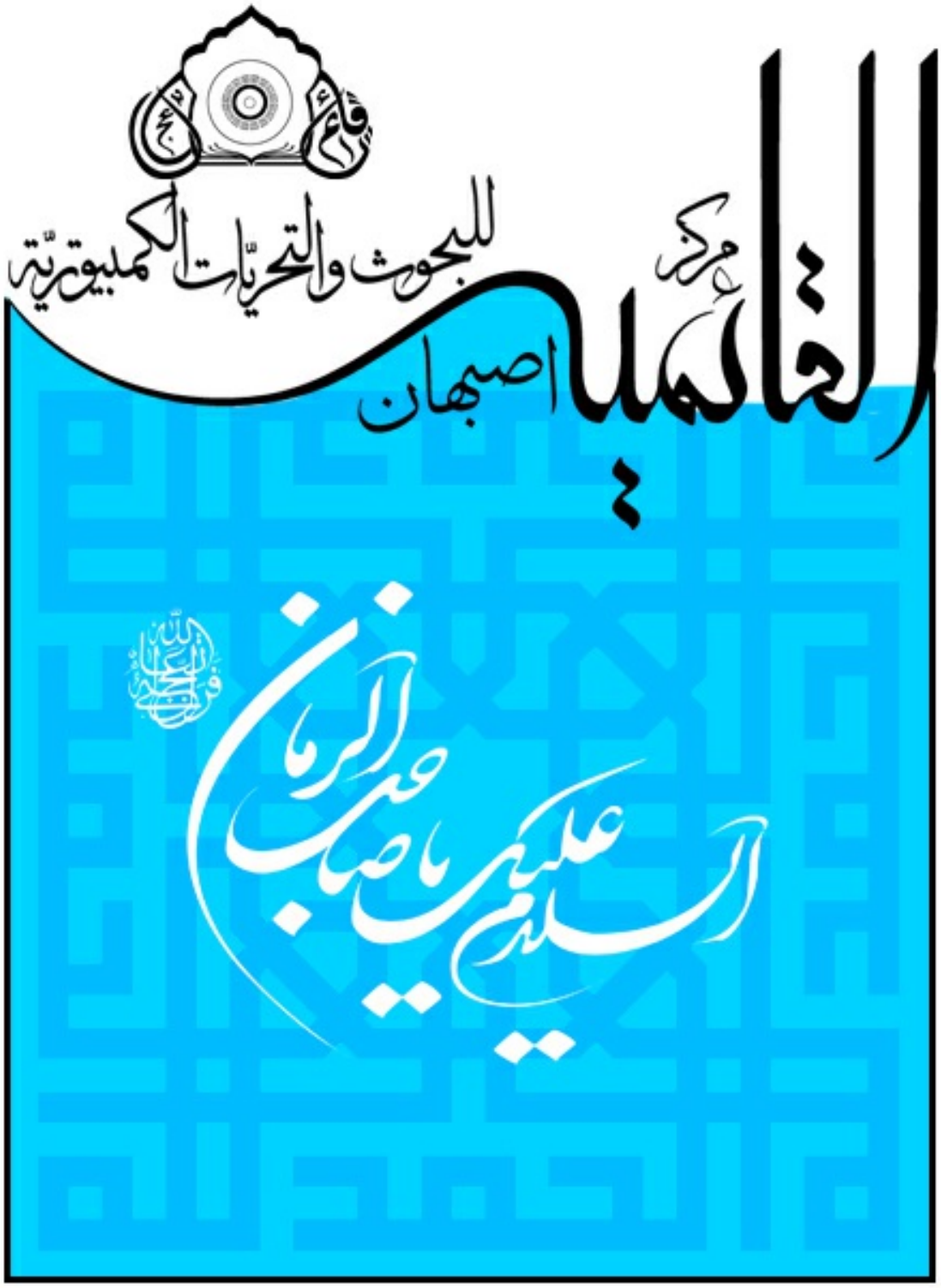

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

السيد محمد العلوي المالكي

محمد المصطفى

قدوة وأسوة

بسم الله الرحمن الرحیم

النبی محمد (ص) قدوه و اسوه

کاتب:

آیت الله سید محمد تقی مدرسی

نشرت فی الطباعة:

دار محبی الحسین (علیه السلام)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵

النبی محمدصلی الله علیه و آله قدوه و اسوه ----- ۶

اشاره ----- ۶

اشاره ----- ۶

المدخل ----- ۱۰

الفصل الأول: الأَصْلُ الكَرِيم ----- ۱۴

اشاره ----- ۱۴

بَنُو هاشم: ----- ۱۴

عبداللّه وآمنه: ----- ۱۵

الميلاد المبارک: ----- ۱۵

عهد الرضاع: ----- ۱۵

الراهب بُحيرا: ----- ۱۷

الأمين .. الحكيم: ----- ۲۰

الفصل الثّانی: وبَعْدَ الرّسَاله ----- ۲۴

الفصل الثّالث: الخُلُقُ العَظِيْمُ ----- ۶۰

تعدّد الزوجات: ----- ۶۰

تعريف مرکز ----- ۶۷

النبی محمدصلی الله علیه و آله قدوه و اسوه

اشاره

سرشناسه : مدرسی، محمدتقی، م - ۱۹۴۵

Mudarrisi, Muhammad Tagi

عنوان و نام پدیدآور : النبی محمدصلی الله علیه و آله قدوه و اسوه/ محمدتقی المدرسی

مشخصات نشر : تهران : دارالمحبی الحسین علیه السلام ، ۱۳۸۴.

مشخصات ظاهری : ۴۸ ص؛۱۱ X۱۷س م

شابک : X-۴۹-۷۳۷-۹۶۴

وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی

یادداشت : عربی

یادداشت : کتاب حاضر تحت عنوان "محمد(ص) قدوه و اسوه" نیز منتشر شده است

یادداشت : فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا

یادداشت : کتابنامه: به صورت زیرنویس

عنوان دیگر : محمد(ص) قدوه و اسوه

موضوع : محمد(ص)، پیامبراسلام، ۵۳ قبل از هجرت - ۱۱ق. -- سرگذشتنامه

رده بندی کنگره : BP۲۲/۹/م۴م ۳ ۱۳۸۴

رده بندی دیویی : ۲۹۷/۹۳

شماره کتابشناسی ملی : م ۸۴-۵۹۰۳

ص: ۱

اشاره

المدخل

(بسم الله الرحمن الرحيم (١) الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (۴) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (۵) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (۶) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ (٧))

ص: ۵

الفصل الأول: الأصْلُ الكَرِيم

اشاره

مكه المكرّمه: مدينه حجازيه أنشئت منذ عهد إبراهيم الخليل عليه السلام، الذى أمره الله تعالى أن يرحل ببعض ذريّته إلى أرض الحجاز، ليبنى هناك بيتاً لله يُعبد فيه ولا يُشرك به، فجاء وعمَّر البيت الذى سُمى الكعبه.

ومن نسل إبراهيم عليه السلام انحدرت قبائل استعربت فيما بعد، وكانت إحدى هذه القبائل تسمّى ب- (قريش)، وكانت هذه القبيله منقسمه إلى عشره فروع، وكان لكل فرع سيادته واستقلاله، كما كان لكل منها نظامه القبلى الخاص الذى يتكوّن من رئيس للقبيله النافذ الكلمه، المُطاع الأمر، ومن سائر أفراد القبيله التابعين له اتِّباع الفصيل لأمه.

بَنُو هاشم:

وكانت إحدى هذه القبائل العشر تسمى ب- (بنى هاشم)، كما كانت لفظه (بنى أميه) قد وضعت لقبيله أخرى.

وبنو هاشم هى القبيله التى كان النبى محمد صلى الله عليه واله ينتسب إليها، حيث إنه كان من أحفاد عبد المطلب الذى كان بدوره من أبناء هاشم، شيخ العشيره.

ص: ٩

عبدالله وآمنه:

كان عبد المطلب، شيخ بنى هاشم، ورئيسها المطاع، وكان له عشره أولاد، أصغرهم وأفضلهم هو عبد الله. وكانت فى مكه قبيله قريبه تُعرف ببنى زهره، منحدره من نسل زهره بن كلاب بن مُره. وكانت امرأه من هذه القبيله تسمى ب- (آمنه) بنت أحد شرفائها (وهب بن عبدمناف). فلمّا شبَّ عبد الله، زوّجه والدُه بآمنه، وتمَّ الزواج على أسعده.

الميلاد المبارك:

ولم تمضِ إلَّا مده يسيره حتى حملت آمنه بسيّد البريّه النبى محمد صلى الله عليه واله فى حين أن عبد الله، والده الكريم، كان قد سافر فى رحله تجاريه إلى الشام. فلما بلغ مدينه (يثرب) التى سُمِّيت فيما بعد بمدينه الرسول، توفاه الله تعالى، فَوُلِدَ النبى يتيماً.

ورافقت ميلادَه الكريم حوادث خارقه حيث انخمدت نيران فارس المجوسيه، وغاضت بحيره ساوه وسقطت شرفات قصر كسرى ملك الفرس، ونُكّست الأصنام.

عهد الرضاع:

واحتفلت أسره بنى هاشم بمولده المبارك احتفالًا باهراً، وذلك لأن عبدالله كان أحبّ بنى هاشم إلى أنفسهم. غير أن المنيّه اختطفته وهو فى نُضره شبابه، وبقيت مَنِيَّتُهُ ثلمةً فى قلوبهم وجرحاً عميقاً فى نفوسهم. فكان ميلاد محمد صلى الله عليه واله بلسماً لذلك الجرح، وسدًّا لذلك

الفراغ، وذكرى لذلك الشاب العظيم.

وحيث كان من عاده الشرفاء فى مكه أن يطلبوا لأبنائهم مراضع من أهل البادیه، لتكون نشأه أولادهم سليمةً عن الضعف الجسمى والنفسى، فقد اتَّخذ عبد المطلب- شيخ بنى هاشم، وكفيل النبى محمد- امرأةً عربيةً من أفصح القبائل العربيه لساناً وأكرمهم خُلقاً لتكون مرضعةً ومربيةً له. تلك كانت (حليمه) المنسوبه إلى قبيله (بنى سعد) التى كانت تسكن أطراف مدينه طائف.

ودرج الطفل المبارك فى أحضان القبيله البدويه التى كانت تنظر إليه نظره المحبه والود، لأنه كان منشأ البركه والخير فيها، وأخذ ينمو نموًّا سريعاً.

ولما بلغ السادسه من عمره، رافق أمه آمنه فى سفره ودِّيَّه الى يثرب (المدينه)، وحينما قفلوا راجعين توفيت آمنه فى منزل «الأبواء» تاركه ابنها الوحيد يتيم الأبوين.

ولما بلغ الثامنه تُوُفِّى عبد المطلب جدُّ النبى وكفيله، وترك كفاله محمد صلى الله عليه واله إلى أبى طالب عليه السلام، كما خوّل إليه سياده بنى هاشم، ووفاده الحاج.

ولم يكن أبو طالب كفيل النبى فقط، بل كان بمثابه والدٍ حنون يرى فى إكرام ابن أخيه (محمد) وفاءً لحق أخيه عبد الله، وإطاعةً لأمر أبيه عبد المطلب، وأداءً لمسؤوليه سيادته على بنى هاشم، وعملًا بوظيفته الإنسانيه المقدسه فى الحياه.

فكان النبى صلى الله عليه واله يذهب معه إلى المرافق العامه، حتى تلك

المناطق التى كانت محرّمه على غير الساده والأشراف، مثل دار الندوه التى كانت بمثابه رئاسه الوزراء فى المملكه، وكان لا يدخلها إلَّا من كان سيِّداً فى قومه. ذلك لأن أبا طالب كان حريصاً على حياه محمد وتربيته، حتى أنه لما أراد أبو طالب أن يواصل رحله قريش التى كانت تتّجه إلى كل من اليمن فى الشتاء، والشام فى الصيف لغرض التجاره، اصطحب معه النبى صلى الله عليه واله وهو فتىً لم يبلغ مبلغاً من العمر يؤهله الى مثل هذه الرحله المليئه بالأخطار.

وحينما سارت القافله، رأوا شيئاً غريباً لم يكونوا عرفوه من قبل. فقد رأوا أن سحابه ترفرف على القافله فَتُظللهم من الشمس، وتُبدِّل الرحله الخطيره إلى رحله سعيده مريحه.

الراهب بُحيرا:

بالقرب من مدينه بصرى القديمه، كانت تقوم صومعه يسكن فيها عابدٌ مسيحيٌّ، اشتهر فى الناس أنه صاحب كرامات وتنبؤات صادقه.

ولم يكن هذا الراهب يعتنى بالقوافل التجاريه التى كانت تمرّ بمنطقته فى سيرها إلى الشام وإلى الحجاز، لأنه كان مستغنياً عنهم، فى الوقت الذى كانوا محتاجين إليه.

وكانت قد مرَّت قافله قريش التجاريه بهذه المنطقه مرات عديده، ولم يرمقهم هذا الراهب بطرف، ولا خطروا عنده ببال.

أما فى هذه المره فقد تبدلت الأمور، قبل أن يصل الركب، رأى الناس أن الراهب يتطلع إلى الصحراء، ثم يقلب وجهه فى السماء كأنه

يطلب شيئاً فى الأرض وشيئاً فى السماء، فلما اقترب الركب، لاحظ الناس أن الراهب يراقب سحابه فى السماء كأنها تسير على أثر خطوات الخيل والجمال سواء بسواء. وحينما وصلت قريش إلى رحاب الصومعه دعاهم الراهب إلى الإقامه فيها للعشاء تلك الليله، وتعجَّب الناس كلهم من هذه البادره، إلا أن الراهب أزال دهشتهم بتصريح أدلى به على مأدبه العشاء حيث قال: إن إكرامه وإعظامه لقريش إنما هو لوجود هذا الفتى السعيد بينهم، وبشّرهم بما سوف يكون من أمره من الرساله المقدسه.

وتكررت هذه البشاره مره أخرى فى الشام، حيت التقى بالنبيِّ راهب آخر كان يدعى ب- (أبو المويعب) وبشَّر الناس قائلًا: هذا نبيّ الزمان.

ورجع النبى صلى الله عليه واله إلى مكه وامتلأ رفاقه فى تلك الرحله إعجاباً به وإعظاماً له. فلما قصّوا على الناس قصصهم فى السفره، اشتهر أمر النبيّ صلى الله عليه واله أيَّما اشتهار.

ثم بَدرت من النبى بوادر طيبه جعلت الناس تنظر إليه نظر التوقير والاحترام. فحينما هدم السيل بنيان الكعبه، وأرادت قريش ترميمها، اختلفت فى الذى يجب أن يحظى بفخر وَضْع الحجر الأسود فى مكانه من ركن الكعبه، فقد كان لذلك الحجر شأن عظيم فى نظر قريش وسائر العرب، وكاد الزعماء فى قريش يحارب بعضهم بعضاً، بيد أنَّ حكماءها قالوا: لنحتكم إلى أول داخل من هذا الباب، فرضى الجميع بذلك.

ووقف الناس ينتظرون أول الداخلين من ذلك الباب، فإذا

بطلعه النبيِّ محمدٍ صلى الله عليه واله قد أشرقت عليهم، وإذا صوت واحد يقول: هذا الأمين قد رضينا به. فعرف النبيُّ ماجرى بينهم، فأمر بأن يؤتى بثوب، ثم أمر بأن يأخذ كل زعيم بطرف منه ثم وضع الحجر فيه وأمر برفعه حتى إذا تساوى مع الحائط أخذه النبيُّ ووضعه فى موقعه. وهكذا حفظ النبى صلى الله عليه واله بهذا الحكم العادل المنصف حقوق القبائل كلها، كما أنه فاز بفخر تركيز الحجر بنفسه، ورضيت به قريش صاحب فخر ومجد بالغين.

وكانت الرذيله والأخلاق السيئه متفشّيه بين الشباب بصوره فاحشه، حتى أنه لم يكن فى العرب شاب لم يتدنس بسيئاتها إلَّا الشاذ النادر.

ومع كل ذلك فلم يسجل العرب المعاصرون للنبى صلى الله عليه واله والمراقبون لأيام شبابه، أى ميل إلى الباطل أو أى مشاركه فى لهو أو لغو، بل العكس فقد لاحظ الناسُ فى النبيِّ صلى الله عليه واله كلَّ معانى الشرف والنبل، وكل سمات الإنسانيه والصلاح.

والمعروف أنه كان قد تم الاقتراح على شرفاء مكه وساداتها، أن يكوّنوا لجنه تدافع عن حقوق الضعفاء، وتراعى أمورهم. فاستجابت النفوس الطيبه إليه، وأقسموا قسماً شرفيًّا بذلك؛ وسُمِّىَ ب- (حلف الفضول)، وسواءً كان النبى صلى الله عليه واله هو المقترح أو غيره، فإنه قد حضره وقد أشاد به بعد الرساله حيث قال:

«لَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ عُمُوْمَتِى حِلْفاً فِىْ دَارِ عَبْدِاللهِ بْنِ جَدْعَانَ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِىْ بِهِ حُمْرَ النِّعَمِ، وَلَوْ دُعِيْتُ إِلَيْهِ فِىْ الإِسْلَامِ لَأَجَبْتُ» (۱).

۱- (۱) الكامل فى التاريخ، ابن الأثير، ج ۲، ص ۴۱.

الأمين .. الحكيم:

وحيث عرف أهل مكه فيه هذا السموّ الخُلقى والنبل المعنوى، فقد ائتمنوه على أمورهم، وسلَّموا إليه ودائعهم، كما أفشوا إليه أسرارهم، واستشاروه فى قضاياهم الخاصه، فكان يُعرف بينهم بالأمين وبالصادق الحكيم.

أما ما يخصّ أمر كفيله أبى طالب، فقد كان النبى وفياً له، برًّا به. فلقد كان أبو طالب فقيراً مُعيلًا، حيث إنَّه كان سيِّداً يتحمل مسؤوليات السياده الخطيره التى كانت تحتاج إلى المال قبل كل شى ء، وكانت موارده قليله جدًّا، فلذلك أخذ النبى يفكر منذ صباه فى طريقه للعيش يُخفِّف بها مسؤوليه الكفاله عن عمه أبى طالب.

فاشتغل برعى الغنم شأن صبيان العرب فى مكه، بفارق أنه كان يتأهل بذلك لمسؤوليه الرساله أيضاً، وذلك أنه ما بعث الله نبيًّا إلَّا وقد كان راعياً فى يوم من أيام حياته!.

ومرّت الأيام، وشبّ النبى صلى الله عليه واله، ولم تعد هذه الطريقه لائقه به فى مثل سنّه، فأخذ يمارس التجاره. ثم سعى عمه فى إرساله بتجاره إلى الشام تخص السيده خديجه بنت خويلد، المرأه الثريه التى كان يُتاجر بأموالها كثيرون من سكان مكه، على أن يكون الربح بينها وبينهم، فتمَّ له ذلك.

وحينما ذهب النبى صلى الله عليه واله فى هذه الرحله التجاريه، كان من أوفق التجارات التى تمت بمال خديجه إلى ذلك الحين. وقد كان ظهر من النبى صلى الله عليه واله فى تلك الرحله معاجز كثيره، لما قُصَّتْ على خديجه

رغبت بـالزواج بـالنبىّ صـلى الله عليه واله، فقبـل النبىّ بـذلك، ووافق عليه عمه أبو طالب. فتم الزواج السـعيد فى السـنه الخامسـه والعشـرين من عمر النبىّ الشـريف. وكـان زواجه تحوُّلًا فى حيـاته الاجتمـاعيه. حيث لم يعـد الآـن صـاحب بيت وأولاد فقط بل وصاحب ثروه كبيره ضخمه أيضاً.

ورُزق النـبىُّ صـلى الله عليه واله من خـديجه خمسه أولاـد هم (زينب) و (أم كلثـوم) و (فـاطمه) و (رقيه) و (القـاسم، أو الطـاهر) عليهم السلام.

لقد كان هذا الزواج أوفق زواج يُعرف فى صدر الإسلام.

أما بالنسبه إلى خديجه فإنها أصبحت به: زوجه النبىّ، والأم الكبرى للمسلمين. بعد أن اتَّصل بها أشرف الخلائق أجمعين.

وأمّا بالنسـبه للنبىّ صـلى الله عليه واله فقـد كانت خديجه أول من آمن به، ثم نصـرته وبذلت ما لديها من المال والجاه والحكمه فى سبيله وفى سبيـل نشـر دعوته المقـدسه. ولم يزل النبىّ يـذكر لهـا ذلـك حتى آخر لحظه من حياته. وقـد كانت وفاه خـديجه تعادل عند النبىِّ صلى الله عليه واله موت عمه أبى طالب، فلقد تأثر بهما تأثراً بالغاً، ثم فقدهما فى عام واحد حينما كان أحوج ما يكون إليهما معاً.

الفصل الثَّانى: وبَعْدَ الرِّسَاله

العالم فى ذلك الوقت أحوج ما يكون إلى رساله، وإلى رسول.

فهذى عربٌ تَئِدُ البنات وتقول: نِعْمَ الصهرُ القبر. وتُكثر الحرب، وتحسب أنها مفخره للإنسان. وتؤمن بالخرافات: بالكهّان والعرّافين، وتعبد الأصنام، وقد شاع فيها اً وتُستثمر قواهم استثماراً. وهذه سائر مناطق الأرض فى مملكه الروم، وفى إمبراطوريه الفرس، شاع فيها الفساد والعدوان، وكثرت فيها الفواحش والموبالظلمُ، فهناك طائفه من المستغلين الذين لا يعرفون للطمع حدوداً، ولا للاستغلال قيوداً، وهناك طائفه من الكادحين الذين تُستنزف جهودهم استنزافقات.

وهؤلاء حكماء العرب الذين يطَّلعون على الكتب السماويه مثل: ورقه بن نوفل وعبد الله بن جحش وعثمان بن الحويرث وغيرهم، يبشِّرون بنبيٍّ يُبعث، ويُنقذ الإنسانيه من هذه الهاويه السحيقه.

وهؤلاء يهود يثرب يتطاولون على العرب بنبيٍّ يُبعث فيهم، ويأتى بكتاب عظيم، ويخضع لدعوته العالم، فيصبحون أعزاء فى الحياه.

وهؤلاء الكهنه والعرّافون لايزالون ينتظرون النبىّ الذى يكون خاتم النبيين، وسيَّدهم.

فمن هو هذا النبىُّ، ومتى يُبعث؟؟.

ص: ١٩

هنا فی بیت خدیجه- بمکه وفی أرض الحجاز- یُعرف رجل لم یشترک فی باطل قط، ولم یعزف عن حق قط، ولم یَعرف الإثم جنابه ولا غاب الخیر والصلاح عن رحابه.

إنَّ هذا الرجل تجتمع فیه جمیع مؤهلات الرساله، وکل ما ذکر فی الکتب من علائمها؛ فهو من أعرق العرب فخراً ومجداً، ومن أسمی أُسَر العرب شرفاً وکَرماً، وهو أحسن الناس خُلقاً، وأفضلهم عملًا، وأقربهم إلی الحق وابعدهم عن الباطل.

وقد حدث مرات عدیده أن فقدته مکه فَوُجِدَ فی غار حِراء یعبد الله ویطیعه، ویمارس نُسکاً خاصه لایعرفها أهل مکه.

ففی الشمال الشرقی من مکه یرتفع جبل النور، وفیه غارٌ أعتاد النبیّ صلی الله علیه واله أن یظلّ فیه أیاماً یواصل فیها عبادهً مجهوله عند الناس.

وذات یوم یروح محمدٌ صلی الله علیه واله إلی حِراء فیری کلَّ شی ء قد تبدّل. فإن روحانیه جدیده تشمل کیانه، وتستوعب شعوره، وإذا به یری السماء قد فتحت أبوابها، والمَلَک علی أرجائها، وجبرائیل یهبط إلیه ویقول له: اقرأ .. فیقول له النبیّ صلی الله علیه واله: ما أقرأ؟

فقال له جبرائیل علیه السلام: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ (۱) خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ (۲) اقْرَأْ وَرَبُّکَ الأَکْرَمُ (۳) الَّذِی عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (۴) عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ یَعْلَمْ) (۱).

وکان هذا الحادث فی السابع والعشرین من شهر رجب حیث یحتفل المسلمون بعید (المبعث النبویّ) باعتباره بدْءَ حیاه الخیر والسعاده للإنسان علی وجه الأرض.

۱- (۱) سوره العلق، آیه: ۱- ۵.

وهكـذا بُعث النبى بالرساله، وابتـدأت مرحله جديده من حياته الكريمه، حيث لم يعد الإنسان الطيب الذى يعمل المعروف فقط، ويؤدى الأمانه ويصـدق الحـديث، ويُعيل الأقرباء، بل أصـبح الآن البشـير النذير الذى يحمل على كتفه مسؤوليه قياده الإنسان الى كل خير، وصيانته من كل شر.

كمـا أنهـا ابتـدأت بـالبعثه مرحله جديـده للجزيره العربيه، بـل للعـالم كله. فسـوف لاـ يبقى العـالم يسـوده الظلم والظلاـم، والشـر والطغيان، بل ستفتح فيه أبواب الخير التى تنتهى إلى سياده العدل والنور والخير والمعروف.

ورجع النبى إلى مكه فبلَّغ خـديجه مـا جرى له، وقصَّ عليهـا القصه فـآمنت به، كما أنه حـدَّث بها ابن عمه عليًّا- وهو فتى مراهق كـان النبى قـد تكفَّل تربيته- فـآمن ثم آمن كـذلك جعفر أخو على. ثم أعلن النبى صـلى الله عليه واله دعوته حينمـا نزلت هـذه الآيه: (يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) (١).

وابتدأ بعشيرته حيث نزلت عليه آيه أخرى تقول: (وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ) (٢)

.

فجاء النبىُّ صلى الله عليه واله حتى وقف على الصفا فنادى:

«يَا صَبَاحَاهْ.

فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ فَقَالُوا: مَا لَكَ؟.

فَقَالَ صلى الله عليه واله:

أَرَأَيْتُكُمْ إِنْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ الْعَدُوَّ مُصْبِحُكُمْ أَوْ مُمْسِيكُمْ مَا كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِى.

١- (١) سوره المدّثِّر، آيه: ١- ٣.

٢- (٢) سوره الشعراء، آيه: ٢١۴.

قَالُوا بَلَى.

قَالَ صلى الله عليه واله: فَإِنِّى: (نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ).

قَالَ أَبُو لَهَبٍ- أحد أعمام النبىّ- تَبًّا لَكَ أَلِهَذَا دَعَوْتَنَا جَمِيعاً!» (۱).

وخطب فيهم مرةً أخرى وقال صلى الله عليه واله:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلَهُ، وَلَوْ كُنْتُ كَاذِباً لَمَا كَذَبْتُكُمْ، وَالله الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِنِّى رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ حَقًّا خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةً، وَالله لَتَمُوتُونَ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُونَ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُونَ كَمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتُجْزَوْنَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَاناً وَ بِالسُّوءِ سُوءاً، وَإِنَّهَا الجَنَّةُ أَبَداً وَالنَّارُ أَبَداً، وَإِنَّكُمْ أَوَّلُ مَنْ أُنْذِرْتُمْ» (۲)

. ولكن لم تكن تلبيه القوم إلَّا مثل تلبيه أبى لهب. فقد أعرضوا عنه، واستهزؤوا به، وسخروا بدعوته. أما هو فقد ظلَّ يواصل دعوته بشتى الأساليب، حتى اشتهر خبرها فى مكه وما حولها. وبلغت دعوته بعض النفوس النيِّره الخيِّره التى كانت تريد الحق والخير، فآمنت بها، واتَّبعتها. بيد أن أكثريه التابعين لها كانوا من الطبقه الفقيره التى لم تكن تملك لنفسها نفعاً ولاضرًّا.

أما ساده قريش وأشرافها، أما المستغلون المرابون، أما الذين كانت مصالحهم ترتبط بالأصنام والأزلام، أما ذوو العقول المتحجره، والنفوس المتصلبه، أما هؤلاء فقد اعتبروا هذه الدعوه شرًّا يجب أن يقاوَم وأن يحاربّ بكل وسيله.

۱- (۱) بحار الأنوار: ج ۱۸، ص ۱۶۴.

۲- (۲) بحار الأنوار: ج ۱۸، ص ۱۹۷.

ولذلك فهؤلاء لم يمتنعوا عن قبول الدعوه فقط، بل أخذوا يسلكون معها مسلكاً معادياً، وساروا فى جبهه معاكسه تماماً؛ فكل من أسلمَ قابلوه بالكبت والاضطهاد، وحاولوا ردَّه إلى دينهم الخرافى السخيف. فكم من رجل منشرح الصدر، ومنوَّر القلب اعترف بالنبى صلى الله عليه واله، فتعرّض للتعذيب والتنكيل من جانب قريش؟ وكم من عبد أو أمه آمن بالرساله فَهُدِرَ دَمُه ومات فداء إيمانه! فهذا عمار قد عذَّبوه ونكَّلوا به. وهذا ياسر أبوه، وهذه سُميّه أمّه قد قتلوهما قتلًا!.

ولم يكن نصيب النبى صلى الله عليه واله من هذا التعذيب والأذى قليلًا. فإنه كان كلما سمع أنَّه عُذِّب أو أوذىَ أحدٌ فى سبيل دعوته تألَّم وتأثَّر، ولربما فاضت عيناه بالدموع. وبالإضافه الى ذلك فقد كانت قريش تتعرض للنبى صلى الله عليه واله بالذات، إذ كان أبو لهب يرمى النبىّ بالحجاره، وكانت زوجته تُلقى فى طريق الرسول صلى الله عليه واله الأشواك. وكان أبو جهل يحاول إثاره غضبه بإلقاء الفرث على رأسه وهو فى الصلاه، أو يرمى القذر فى طعامه وهو يأكل؟.

وشجَّ أحد الكفَّار رأسه الشريف بالقوس حتى جرت دماؤه على وجهه الكريم!. وكان بعض آخر منهم يلطِّخون داره بالأقذار، وقد يُلقون بها فى فناء داره.

أما السخريه والاستهزاء والتقريع، فقد كانت تمتلئ بها أفواه الكفّار، ويصبُّونها على النبىِّ صلى الله عليه واله كلَّ حين!.

وكان النبىّ صلى الله عليه واله يقابل كلّ ذلك بصبر حكيم، وحلم قائد، وأناه نبىّ؛ فإذا جاءت إليه طائفه من الكفّار استقبلهم بكل طلاقه، ودعاهم إلى الدِّين بأحسن طريق، فإذا لبّوا دعوته يكون ذلك خيرٌ، وإلَّا فإنه كان

يطلب منهم أن يأتوا بمثل ما أتى به من القرآن، ثم يتلو عليهم: (قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً) (۱).

ولطالما كانوا يسخرون منه ويستهزئون بدعوته، فكان يعظهم ويدعو الله لهم بالهدايه دون أن يغضب أو يثور.

وكان فى بعض الأحيان يتجوَّل فى العشائر والمجامع، ويدعو الناس إلى ربهم. بيد أن كفار قريش كانوا يعرقلون طريق دعوته بأمرين:

الأول: أنهم كانوا يحذرون الناس من أن يتأثروا بدعوته قائلين لهم: إنَّ الرجل منّا، وهو ساحر ومجنون أو كذّاب. حتى أن الناس كانوا يضعون القطن فى آذانهم لكيلا يسمعوا قول النبى صلى الله عليه واله.

الثانى: أنه كان يسير خلفه رجل منهم ويصيح: إنه كذاب فلا يُسمع قولُه، ولا تُلَبَّى دعوتُه.

وعجز كفارُ قريش عن أن يمنعوا سير الدعوه الحثيث واشتهارها بهذه المعارضات. ففكّروا فى انتهاج مسلك آخر فى منع الناس عن الإسلام، فجاؤوا إلى النبيِّ صلى الله عليه واله وقالوا له: «يَا مُحَمَّدُ! شَتَمْتَ الْآلِهَهَ، وَسَفِهْتَ الْأَحْلَامَ، وَفَرَّقْتَ الْجَمَاعَهَ. فَإِنْ طَلَبْتَ مَالًا أَعْطَيْنَاكَ، أَوِ الشَّرَفَ سَوَّدْنَاكَ، أَوْ كَانَ بِكَ عِلَّهٌ دَاوَيْنَاكَ!.

فَقَالَ صلى الله عليه واله: «لَيْسَ شَیْ ءٌ مِنْ ذَلِکَ، بَلْ بَعَثَنِی اللهُ إِلَيْكُمْ رَسُولًا وَأَنْزَلَ كِتَاباً، فَإِنْ قَبِلْتُمْ مَا جِئْتُ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِی الدُّنْيَا وَالْآخِرَهِ، وَإِنْ

۱- (۱) سوره الأسراء، آیه: ۸۸.

تَرُدُّوهُ أَصْبِرُ) حَتَّى يَحْكَمَ اللَّهُ بَيْنَنَا) (۱)» (۲).

وفكروا هذه المره بأن يستأصلوا الشجره الطيبه من أصلها وأن يغتالوا النبيَّ صلى الله عليه واله نفسه، بيد أنَّه كان يومئذ يأوى إلى ركن شديد، وسندٍ قويّ، لم يقتدر الكفار أن يأتوا عليه، وهو عمُّه وناصره أبو طالب سيد قريش وشيخ بنى هاشم. فحاولوا أوّل الأمر إغراء أبى طالب فقالوا له: «إننا نعطيك ولداً وسيماً من أبنائنا ونأخذ محمداً ونقتله.

فقال: ما انصفتمونى. آخُذ ولدكم فأُطعمه وأسقيه، وتأخذون ولدى فتقتلونه. فقالوا له: إنَّ ابن أخيك قد سبّ آلهتنا، وعاب ديننا، وسفَّه أحلامنا، وضلل آباءنا. فإما أن تكفه عنّا، وإمّا أن تخلِّى بيننا وبينه فنكفيكه».

لكن أبا طالب الذى لم يشكَّ فى صدق مقاله ابن أخيه والرسول المبعوث إليه، ردّهم ولم يقبل أىَّ واحد من اقتراحاتهم؛ وخاطب النبيَّ صلى الله عليه واله قائلًا: «أُدع إلى ربّك. فإنى لن أتخلَّى عنك أبداً».

وحينما رأت قريش أن أبا طالب لن يتخلى عن النبى، دبّرت له خطه أخرى، حيث أجمعت أمرها على مقاطعه النبيِّ وكلّ من يؤازره من بنى هاشم. وكتبوا صحيفه بشأن هذا القرار، ومنعوا الناس من أن يبيعوا شيئاً إلى بنى هاشم. فجمع أبو طالب بنى هاشم وجعلهم فى شِعْبٍ كان له فى أطراف مكه، وبقوا هناك ثلاث سنين فى أشدّ ما يكون من سوء العيش، وأكثر ما يكون من الخوف والقلق، حتى أن أبا طالب كان يُبدِّل فراش النبى صلى الله عليه واله فى كل ليله مرات خوفاً على حياته الكريمه.

۱- (۱) سوره الأعراف، آيه: ۸۷.

۲- (۲) بحار الأنوار: ج ۱۸، ص ۲۰۱.

وشاء الله أن تنقضى مده هذا النفى فأمر بالأرضه (وهى دابه صغيره) أن تأكل الخطوط الملعونه التى رُسمت على الصحيفه. فأكلتها، وأَلْهَم نبيَّه بشأن ذلك، فأخبر النبيُّ صلى الله عليه واله أبا طالب عليه السلام، وهو بدوره ذهب إلى الكفار وحدَّثهم بذلك. وقال: إن ذلك علامه صدق ابن أخى فى ادّعائه الرساله، وكذبكم فى إنكاركم أمره. فجعلوا الاطلاع على الصحيفه حكماً بينهم فإن كانت الصحيفه كما أخبر الرسول صلى الله عليه واله أخرجوهم من المنفى، وإن لم تكن فإنهم ماكثون فيه.

وحينما اطَّلعوا عليها وجدوها كما أخبر الرسول صلى الله عليه واله. فخرج بنو هاشم من المنفى منتصرين. وتمَّ بذلك عهد كان من أشد العهود على النبيِّ وآله، وأصعبها جميعاً.

وإنّ الضراء التى مست الأسره الهاشميه فى منفاها بِشِعْب أبى طالب كانت شديده للغايه. ولذلك فإن خسارتها كانت بالغه وكبيره أيضاً، حيث نتج عن الحصار الاقتصادى والاجتماعى على بنى هاشم موت خديجه زوجه النبى صلى الله عليه واله، وموت أبى طالب عمه وكفيله.

لقد كانت خديجه عليها السلام شريكه النبيِّ صلى الله عليه واله فى كلّ آلامه وآماله، والمسلّيه له فيما أصابه من أذى، بل كانت المُعينه له على مكاره قريش، كما كان أبو طالب حامى النبى صلى الله عليه واله الذى كان قد ألقى بينه وبين أذى قريش حجاباً ثقيلًا.

لقد كان أبو طالب سيّد قريش وشيخ بنى هاشم؛ وكان له حق مشروع فى الدفاع عن النبىّ محمد صلى الله عليه واله فى منطق النظام الاجتماعى السائد فى تلك

الأيام، حيث إنه كان يعتبر النبىَّ ابناً له. والمرء يمكنه الدفاع عن ولده فى ذلك النظام بكل أسلوب وفى جميع الأحوال حتى

ولو كان ابنه خارجاً عن طريقه أهل البلاد ودينهم.

فموت أبى طالب وخديجه كان بمثابه هدم حصن حصين ذى ركنين ثابتين بالنسبه إلى النبى صلى الله عليه واله فى تلك الظروف، ولذلك سميت تلك السنه بعام الحزن. وحيث اشتدّ فيه حزن النبىِّ وتأثره بموت حامِيَيهِ والمدافعين عن دعوته ورسالته. وكان ذلك بين العام السابع والثامن من البعثه.

واشتدت الأزمه بالنبى صلى الله عليه واله بعد وفاه أبى طالب؛ لأن قريشاً أجمعت أمرها على سحق المسلمين ومحق الدعوه الإسلاميه، فقامت بضغط عنيف على المسلمين، وبأذىً كثير للنبىِّ صلى الله عليه واله، وحاولوا مراتٍ عديدةً قتله إلَّا أنَّ الله منعه منهم. فأخذ النبى صلى الله عليه واله يُعدّ تدابير لهذه الأزمه المحيطه به وبالمسلمين. فبالنسبه إلى المسلمين أمرَهم بالهجره إلى الحبشه، وقد تمت هذه الخطه بترحيل طائفتين كبيرتين منهم إليها عن طريق البحر، فتخلصوا من شرّ الكفار وكيدهم، وقد آواهم ملك الحبشه، وأكرم وفادتهم.

وأما بالنسبه إليه نفسه صلى الله عليه واله فقد ذهب إلى الطائف- وهى مدينه قريبه من مكه تقطنها ثقيف القبيله الكبيره- لعله يستطيع أن يهدى أهلها فيمنعوه من قريش. بيد أن هذه الخطه لم تحظ بنجاح، فقبيله ثقيف لم تقبل الإسلام، بل سلّطت سفهاءَها وجُهَّالها على النبى صلى الله عليه واله؛ فآذوه شر أذيه وأرسلوا إلى مكه ينقلون إلى قريش قصه دعوته لهم إلى الإسلام، فاستعدت قريش له من جديد، فلم يأمن النبى صلى الله عليه واله يومئذ على نفسه من الرجوع إلى مكه بصوره عاديه، فاضطرّ إلى أن يراسل بعض سادات قريش ورؤسائها يطلب منهم أن يُجيروه من قريش، فأجاره واحد منهم

حتى جاء إلى مكه تحت حمايته.

وعرف النبى صلى الله عليه واله أخيراً أن أهل مكه لا يمكن أن يكونوا الحاملين للرساله الإسلاميه المقدسه إلى الآفاق، لأنَّ دعوته الملحَّه المستمره التى ظلت فيها زهاء عشر سنوات لم تُجْدِهِ نفعاً أبداً، ولم تُنتج غير إصرارٍ من الكفار وعنادٍ بالغين.

فصمَّم على نشر الدعوه بين سائر القبائل العربيه الأخرى، فإذا استطاع أن يهدى قبيله واحده ذهب إليها وظلّ ينشر نور الإسلام من خلال أفرادها. فأخذ يدعو الناس فى المواسم التى كانت العرب تتدفق فيها على مكه لغرض العباده أو التجاره، فيذهب إلى القبيله ويقول لها: «يا بَنى فلان: إنى رسول الله إليكم، وأنا آمُركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً، وأن تخلعوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وإن تؤمنوا بى وتصدقونى وتمنعونى حتى أبيِّن عن الله ما بعثنى به».

وكانت قريش ترسل وراءه من يعقّب على كلامه بتحذير العرب من طاعته، وتهجّن دعواه، وكان عمّه أبو لهب يتولى هذه المهمّه فى أغلب الأحوال.

أما القبائل العربيه فكانت تتعصّب لآلهتها المزعومه، وتُؤْثِرُ البقاء على تقليد الآباء. كما كانت تَحْذَرُ من قريش؛ إذ لو كانت تُسلم لكانت تتعرض لحرب قريش قطعاً، فكانت تردّ النبى ولا تقبل دعواه، وتردُّه إما ردًّا جميلًا أو قبيحاً.

إلَّا أن قبيله واحده استجابت إلى دعوه النبى صلى الله عليه واله، تلك كانت القبيله العربيه الساكنه فى يثرب، والتى كانت منقسمه إلى طائفتين: الأوس والخزرج، وكانت الحرب بينهما قائمه على أشدها، وكانوا قد ملُّوها.

نعم، استجاب أهل يثرب إلى قول النبى صلى الله عليه واله وقبلوا دعوته. وبذلك أخذ الإسلام ينتشر فى المدينه (يثرب) انتشار الضياء بعد ليل طويل.

وتمّت بيعه مسلمى المدينه الثانيه مع محمد صلى الله عليه واله فى العقبه بمنى فى السنه الثانيه، وتمت بها الاتفاقيه العسكريه بين النبى صلى الله عليه واله وأنصاره من أهل المدينه. وكان اللازم بموجبها على المسلمين من أهل المدينه الدفاع عن النبى صلى الله عليه واله وعن سائر المسلمين من أتباعه بكل ما لديهم من قوى حربيه.

وابتدأ النبى صلى الله عليه واله بتنظيم الهجره الى المدينه؛ فأخذ يُرحِّل أصحابه إليها واحداً بعد آخر على حين غفله من كفّار قريش.

وحينما سمع الكفّار بذلك قالوا فيما بينهم: إنَّ المسلمين إذا اجتمعوا فى المدينه، كَوَّنوا قوةً معارضه تُكَلِّفُنا كثيراً من المال والدم. ففكروا فى إعاقه الهجره بمنع المسلمين ترغيباً أو ترهيباً، بيد أنَّ المسلمين أخذوا يفلتون من أيديهم تحت أجنحه الظلام وفى غياهب الليل. فقال الكفَّار لأنفسهم: إنَّ النبىّ لا يزال بين أيدينا، وليس له منعه عنّا، فلو هاجر إلى المدينه وجمع أنصاره حوله، فهنالك يصبح من الصعب القضاء عليه. فاجتمعوا فى دار الندوه وتشاوروا فى الأمر، حتى استقر رأيهم على أن يأتوا من كل قبيله برجل، ثمَّ يهجموا على النبىِّ صلى الله عليه واله هجمةً واحدةً فيقتلوه ويضيع دمه بين قبائل العرب، فلا يستطيع بنو هاشم من أخذ الثأر منهم.

واختاروا من كل عشيره رجلًا، فجاؤوا وأحاطوا بدار النبىِّ صلى الله عليه واله، ولكن الوحى نزل وأمره بأن يتخذ الليل جملًا مهاجراً إلى

المدينه، ثم أوضح له كل شى ء من تدابير قريش وخططهم.

فجعل النبى الإمام عليًّا مكانه يبيت فى فراشه لكى يظن الكفار أن النبىّ صلى الله عليه واله موجود فيشتغلون به، ويخرج هو من طريق آخر. فبات الإمام على فراش الموت ينتظر المصير الكائن، بينما ذهب النبىّ يلتمس طريقه إلى غار ثور، حيث بقى هناك وقتاً كافياً، ثم سار إلى المدينه على غير الجاده، لكيلا تلحقه قريش أو عملاؤها الذين جعلت لكل من أخذ محمداً منهم مقداراً كثيراً من المال.

وعندما وصل النبىّ صلى الله عليه واله إلى المدينه احتفلت احتفالًا رائعاً بقدومه، وسارت فيها مواكب السرور بأهازيج الفرح.

وتمت بذلك الهجره النبويَّه التى كانت بدايه حياه جديده للمسلمين، حياه العزه والمنعه، وحياه الدفاع عن حقوقهم، والجهاد لأعدائهم، وحياه التوسع والانطلاق إلى آفاق العالم. وفى الواقع كانت الهجره بدء تكوين الأمه الإسلاميه الموحده؛ ولذلك اتخذ المسلمون منها بدء تاريخهم الدينى، لأنها كانت أهم الأحداث بالنسبه إليهم.

وبقيت فى مكه طائفه من المسلمين تَمَّ ترحيلُهم أيضاً بقياده الإمام على بن أبى طالب عليه السلام، بعد التغلب على صعوبات شديده. وهناك فكّرت قريش فى أساليب أخرى للقضاء على الإسلام والمسلمين بعدما فات وقت الأساليب السابقه.

الأساليب الجديده كانت توجز فى خطتين اتبعتهما قريش الواحده تلو الأخرى:

الخطه الأولى: كانت بعث رسائل إلى أهل المدينه يريدون فيها

منهم تسليم محمد صلى الله عليه واله إليهم مع شى ء من الترهيب والترغيب، بيد أن المسلمين هَزِئُوا بهذه الفكره، وسخروا من أهلها، وبعثوا بقصيده هجائيه إلى قريش بيَّنوا بها جوابهم الصريح بعد أن أثبتوا حقيقه النبى صلى الله عليه واله وحقيقه قريش التى تناوئه.

الخطه الثانيه: وضع الحصار الاقتصادى على المدينه حيث كانت لقريش كل التجاره العربيه، وكانوا قد أمَّنوا طرق تجارتهم بالتحالف مع القبائل البدويه التى كانت تسكن فى طريق الشام وطريق اليمن. فأصدروا إليها بياناً حظروا فيه بيع المواد الغذائيه لأهل المدينه، أو الإجازه لمرور القوافل التجاريه لأهل المدينه التى ترمى إلى استيراد المواد إليها.

وأما النبى صلى الله عليه واله الذى أخذ على عاتقه مسؤوليه الدفاع عن المدينه، والذى كان يرى أن الحصار الاقتصادى الذى ابْتُلِىَ به أهل المدينه إنما هو لأجله وبسببه؛ فإنه دبَّر خطه دفاع عن هذا الحصار بما سيأتى من أمر غزوه بدر، إلَّا أنه يجب علينا أن نُلقى نظره عاجله على حاله أهل المدينه وإمكانيتهم الماديه والمعنويه قبل الحديث عنها.

فقد جاء النبى صلى الله عليه واله إلى المدينه فوجد فيها عناصر ثلاثه:

١- المسلمون: وهم يتألفون من أوس وخزرج ومهاجرين، وكل منهم يختلف عن الآخر، فاستطاع النبى صلى الله عليه واله أن يصهرهم فى قالب واحد، حتى صاروا إخوه متألفه قلوبهم، متراصَّه صفوفهم، وأصبحوا «أمه واحده كأسنان المشط .. فى التساوى والتعاون».

٢- المنافقون: وهم طائفه كبيره من العرب، أظهروا الإسلام وأضمروا الكفر. وقد قدر النبى صلى الله عليه واله على أن يشلَّ حركات هذه

الطائفه ونشاطاتها باللّطف حيناً، وبإعطائهم بعض المناصب التى تشغلهم، وبعض المسؤوليات التى تسدّ فراغهم حيناً آخر. واشترك الوحى فى تقويمهم بالآيات التى نزلت فى المنافقين، وكانت تؤكد على (إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِى الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنْ النَّارِ) (۱).

۳- اليهود: الذين كانوا قوه رهيبه يملكون من المال والسلاح والحيله الشى ء الكثير. ولقد وضع النبى صلى الله عليه واله اتفاقيات سياسيه وعسكريه معهم، تضمن للفريقين التعايش السلمى والدفاع المشترك عن البلاد وأهلها.

وكانت مسؤوليات الرسول صلى الله عليه واله فى المدينه أكثر منها فى مكه، وإن كان الضغط هناك أكثر. حيث كان الرسول يريد أن يكوِّن أمه، قبل أن يشيد دوله.

فمسؤوليه التبليغ لغير المسلمين، ومسؤوليه تهذيب المسلمين، ومسؤوليه تطبيق نظم الإسلام، ومسؤوليه الدفاع عن المسلمين فى الجزيره العربيه التى كان شعارها الحروب والغزوات، ودثارها السيوف والرماح. هذه المسؤوليات كانت بعض ما أخذ النبىُّ صلى الله عليه واله على عاتقه أداءها من المسوؤليات الخطيره. ففى الوقت نفسه الذى كان النبىُّ صلى الله عليه واله يقود الجيش الإسلامى إلى جبهات القتال كان يوصيهم بأداء الأمانه والوفاء بالعهد ولو مع العدو اللدود. وفى الوقت نفسه الذى كان يُلقِّنُهم دروس التضحيه والجهاد للدين، كان يشرح لهم معانى العفو والصفح، وإشاعه السلام وإطابه الكلام.

وفى اللحظه نفسها التى كان يتولَّى دفن الشهداء فى أُحُد وقد

۱- (۱) سوره النساء، آيه: ۱۴۵.

مُثِّل بهم شرَّ تمثيل فامتلأت قلوب المسلمين حقداً على الكفار وغيظاً وأملًا بالثأر، كان النبى صلى الله عليه واله يتلوا عليهم آيات العفو وتحريم المُثْلَهِ ولو بالكلب العقور.

ومن كل هذا نكتشف مدى خطوره مسؤوليه النبىِّ صلى الله عليه واله التى كانت تهدف إلى تكوين الأمه الموحده، كأفضل وأمجد أمه فى الحياه.

وهنا نرجع الى الحصار الاقتصادى الذى ضربه كفّار مكه على المدينه لنعرف ما كان موقف النبىِّ صلى الله عليه واله وكيف فكَّه عنها.

فالخطه التى اتَّبعها النبىُّ صلى الله عليه واله فى رد هذا الحصار كان شيئاً مماثلًا؛ فالقوافل التجاريه التى كانت تريد أن تسير إلى الشام من مكه كان الواجب عليها أن تقطع المضيق البرّى بين البحر الأحمر والمدينه. فجعل النبىُّ صلى الله عليه واله سَرِيَّه مسلحه لمراقبه هذه المنطقه، وكانت هذه السَّرِيَّه من المهاجرين حيناً ومن الأنصار حيناً آخر، وكانت وظيفه هذه السَّرِيَّه منع القوافل التجاريه.

ولكن القوافل هذه كانت قد تعاهدت مع القبائل البدويه فى الطريق على أن تمنعها من المهاجمات التى كان يقوم بها قراصنه الصحراء، على أن تُعطى القوافل التجاريه لها ضرائب معلومه كل سنه. ولذلك فقد فشلت هذه الخطه مرات عديده حيث كانت هذه السَّرِيَّه المسلحه تريد التعرض للقوافل، فكانت القبائل البدويه تدافع عنها بحجه المعاهده التى بينهما.

بيد أن النبى صلى الله عليه واله ذهب الى هذه القبائل البدويه العربيه وعقد معها اتفاقيه فى شأن الأمور الحربيه، وبذلك أَمِنَ من دفاعها عن قوافل مكه.

وأرسل النبىّ صلى الله عليه واله طائفه من أصحابه إلى موضع بين مكه والطائف ليترصدوا له قافله قريش التجاريه، فكتب رساله مختومه وأعطاها قائد هذه الطائفه المدعو ب- (عبد الله بن جحش) وقال له: اذهب فى اتّجاه مكه، فإذا سرت يومين فافتح الكتاب واعمل بما فيه. فلما فتحه وجد فيه ما يلى:

إذا نظرت كتابى هذا فامضِ حتى تنزلَ نخلَه بين مكه والطائفه فتَرصد بها قريشاً وتَعلم لنا من أخبارها.

فذهب إلى نخله ورأى قافله تجاريه تمرُّ بها فى طريقها إلى مكه، فاستولى عليها، وأتى بها إلى المدينه بعد أن أسر منها رجلَين وقتل رجلًا وهرب آخر.

والنبىُّ صلى الله عليه واله وإن كان لم يرضَ بفعل هذا القائد إلَّا أنه استفاد من هذا المال فى حين كان أحوج ما يكون إليه. كما أنه ربح الموقف بإلقاء الرعب فى قلوب الكفار.

وقاد النبىُّ صلى الله عليه واله السَّرِيَّه المسلحه فى المره الثانيه، وأخذ يراقب بنفسه الركب التجارى لقريش، وسمع غير مره بمسيره قريش للتجاره وخرج إليها، غير أن الركب كان قد فاته ولم يلحق به. ولقد سبق أن قلنا: إن إعاقه مسير قريش للتجاره كان دفاعاً مشروعاً للنبىِّ، باعتباره عملًا مماثلًا لمنع القوافل التجاريه عن أهل المدينه؛ وفكًّا للحصار الاقتصادى، وإدانةً لقريش مقابل ما استولوا عليه من أموال المسلمين فى مكه ولم يرضوا بإعطائها لهم.

وذات مرهٍ خرج النبىُّ صلى الله عليه واله لهذه الغايه- حيث سمع بركب

قرشی للتجاره فخرج إليه ليستولی عليه- فوصل الخبر إلی الركب، فأرسل بخبر ذلك إلی مكه واستنفرهم بأن أموالهم فی خطر، والعرب فی مكه كانوا يفدون أنفسهم لأموالهم، ويبذلون أرواحهم فی سبيل حفظها، فحينما سمعوا بالنبأ، وهو أن محمداً صلی الله عليه واله يتعرض لأموالهم، خرجوا إليه مسرعين نحو المدينه.

وكان أبو سفيان يتولَّی رئاسه القافله التجاريه، فَتَنَكَّبَ بها الطريقَ حتی سيّرها علی ساحل البحر الأحمر بعيداً عن النبی صلی الله عليه واله وعن سَرِيَّتِهِ المسلحه، وأنقذها بذلك من سيطره المسلمين واستيلائهم عليها.

وأما كفّار قريش فإنهم ساروا إلی جهه المدينه. ومع أنهم سمعوا بنجاه القافله التجاريه، فإنهم لم يسمحوا لأنفسهم بالرجوع إلی مكه إلَّا بعد إباده المسلمين وكسر شوكتهم.

وكان النبیّ صلی الله عليه واله لا- يزال فی طريقه إلی مكه- وهو يطلب عير قريش- وقريش فی طريقها إلی المدينه تريد إباده المسلمين، فالتقيا علی ماء كان يسمی ب- (بدر) ولم يكن النبیُّ صلی الله عليه واله قد استعد للحرب، بل كما سبق كان هدفه الاستيلاء علی أموال التجاره القرشيه، ومع ذلك فإنه رأی رجوعه إلی المدينه انهزاماً، ولم يسمح لنفسه بذلك حتی لا يدبَّ الطمع فی قلوب الكفّار بالقضاء علی المسلمين.

وكانت هذه أول حرب يخوضها المسلمون، وكانت فی السنه الثانيه من الهجره، وكان عدد الكفار يتجاوز تسعمائه وخمسين رجلًا، فی حين لم يكن عدد المسلمين يبلغ أكثر من ثلاثمائه وثلاثه عشر رجلًا، ومع كل ذلك فقد ربحها المسلمون وألحقوا خسارات فادحه بأعدائهم وهزموهم بإذن الله.

لقـد كان التكتيك الحربى فى الجزيره العربيه لا يعدو عن مقابله الفرد بالفرد فى مشـهد ينظر إليه الفريقان، حتى إذا قتل الأبطال، هاجم الفرد، أو الجبهه- الجبهه المعاديه- حتى ينهزم أحد الفريقين.

بيد أن النبىَّ صلى الله عليه واله اتبع فى حرب بدر طريقه جديده حيث شكَّل مثلثاتٍ حربيةً فريدةً من نوعها.

وذلك بأن أمر باصـطفاف المسـلمين على شكل مثلث كبير على شرط أن يكون ظهر كل فرد داخل المثلث- أى إلى سائر أفراد المثلث- ووجهه إلى الخارج- أى إلى الكفار-.

ولقد نصـره الله بجنودٍ من الملائكه أنزلهم لِنُصـره نبيَّه صـلى الله عليه واله فانهزم الكفّار بعدما قُتل أبطالهم على يد الإمام على بن أبى طـالب عليه السـلام. وانجلت الحرب عن سـبعين قتيلًا من الكفّـار أكـثرهم من رؤسـائهم وأبطـالهم، وأربعه عشـر شـهيداً من المسلمين، ثمانيه منهم من الأنصار، وسته من المهاجرين.

وهـذه الحرب الـداميه فتحت بـاب الحروب فى وجه النبى صـلى الله عليه واله، الـذى تصـدَّى لها ببساله وصـمود، فجعلت قريشـاً موتورةً بقتلاهـا، وطالبه لثاراتها؛ كما جعلت المسـلمين مؤمنين بنصـر الله لهم وقـدرتهم على صـد كلِّ هجومٍ مسـلَّح من أىِّ طراز كان.

وهـذه الحرب دعت قريشاً إلى حبك المؤامرات الكائـده للنبىِّ صـلى الله عليه واله. فقد أرسـلت ببعض أبطالها إلى المدينه خفيه للغدر بالنبى وقتله، بيد أن الله تعالى فضـحه، فلما جى ء به إلى النبى صـلى الله عليه واله وتكلم النبى معه وأخبره بالمؤامره تفصيلًا أسلم الرجل الذى كان يدعى (عمير بن وهب) وذهب إلى مكه داعياً للإسلام متحمساً نشيطاً.

وهكذا فشلت هذه المؤامره الماكره.

ثم قامت قريش بمحاوله فاشله أخرى، إذ خرجوا وهم مائتا نفر يقودهم أبو سفيان، وأغاروا على المدينه ليلًا فقتلوا رجلَين. فلما لحقهم المسلمون بقياده النبىّ صلى الله عليه واله ولَّوا هاربين، وخلَّفوا بعض أمتعتهم ليخففوا عن أنفسهم فى السير. وتسمى هذه الغزوه ب- (السُّوَيق) حيث إن المسلمين غنموا من السويق ما كان زاداً للكفار.

وأخذ أبو سفيان قياده قريش هذه المره، إذ نصب لواء الكفر وحشد تحته خمسه آلاف رجل مقاتل، وزحف نحو المدينه. فلما بلغ جبل أُحُدٍ على بعد كيلو مترات من المدينه، تصدّى له الرسول صلى الله عليه واله بجيش لم يتجاوز عدده ستمائه محارب. ووضع النبىُّ خطه حربيه باهره، إذ اتَّخذ من الجبل ظهراً للجيش، وجعل على ثغور الجبل الذى وراءَه سريّه برئاسه (عبد الله) وأمرهم بألَّا يغادروا موقعهم الحربى الخطير مهما كان الأمر، غَلَبَ المسلمون أو غُلِبوا، ثم أمر المسلمين بالهجوم الموحد على الكفار.

والكفار الذين لم يكونوا يعرفون نظام الهجوم الموحّد لأنهم لم يروه من ذى قبل انهزموا بعد ساعات من الاشتباك الدامى، فاستولى المسلمون على امتعتهم، فرأى أهل الثغور خلف المسلمين فوق جبل أُحُد رأى هؤلاء أن إخوانهم فى تقدم باهر وفى جمع الغنائم؛ فنزلوا عن الموقع الخطير واشتركوا فى جمع الغنائم.

وكلما ناشدهم قائدهم عبد الله بالبقاء لم يقبلوا منه، وحينما رأى الكفَّار ذلك داروا من خلف الجيش الإسلامى، وهجموا على ما بقى من أصحاب عبد الله- صاحب الثغر- بقياده خالد بن الوليد وكان

فی جیش قریش، وقتلوهم وهجموا علی المسلمین من ورائهم ونادوا بالکفار المنهزمین لیرجعوا، فأحاط جیش قریش بالجیش الإسلامی، وهرب القسم الأکبر من المسلمین، بید أن الذین بقوا مع النبیِّ صلی الله علیه واله والإمام علی علیه السلام وطائفه أخری من المسلمین المخلصین، ربحوا الموقف. وأخیراً قتل الإمام عشره أفراد من حاملی ألویه الکفار حتی وقع لوائهم وانهزموا راجعین.

وبعد ذلک غنم المسلمون غنائم کثیره، مع أنهم خسروا خسارات باهظه، مثل قتل حمزه بن عبد المطلب الشجاع البطل والقائد الثالث للقوات الإسلامیه بعد النبیِّ صلی الله علیه واله والإمام علیّ علیه السلام، والذی سمَّاه النبیُّ صلی الله علیه واله ب- (سیِّد الشهداء).

وجمع أبو سفیان فلول جیشه وعسکر فی بعض المواقع بین مکه والمدینه. فخرج الرسول صلی الله علیه واله إلی الروحاء مع کل ما لحقه من خسارات الحرب الباهظه، وکل ما أضر باصحابه من متاعبها ومصاعبها. وحینما وصل إلیه هابه أبو سفیان وفرَّ هارباً إلی مکه.

وکان خروج النبی هذا کسباً للموقف بعد خسارته، وإرجاعاً لمکانه الجیش الإسلامی فی نفوس أعدائه بعد زوالها.

ثم بعد مده جمع أبو سفیان ألف مقاتل وزحف بهم إلی المدینه، فلما سمع النبیُّ صلی الله علیه واله بخبره خرج حتی بلغ بدراً ولکن الکفار لما سمعوا بذلک ولَّوا هاربین ولم یبقَ من أمر کفار قریش مع النبیِّ إلَّا غزوه واحده فقط، وهی غزوه الخندق التی اشترک فیها قریش وغیرها.

وقاد هذه الغزوه أبو سفیان بوصفه قائداً للقوات العربیه فی

مکه، حیث جمع قریشاً والأعراب وتحالفوا مع بعض الیهود فی المدینه، وجاؤوا إلی إباده المسلمین.

والحروب التی خاضها المسلمون فی حیاه النبیِّ صلی الله علیه واله کانت تنقسم إلی ثلاثه أنواع:

الأول: الذی کان بینهم وبین قریش.

الثانی: الذی کان بینهم وبین الیهود الساکنین فی حصون الیهود حول المدینه.

الثالث: الذی کان بینهم وبین سائر الأعراب الذین تصدوا لمنع تقدُّم الإسلام، ووقفوا أمام انتشاره.

وقد اجتمعت الحروب بأنواعها الثلاثه فی غزوه الخندق؛ ولذلک سمیت ب- (الأحزاب) أیضاً، حیث تحالفت قریش مع (بنی سلیم) و (أسد) و (فزاره) و (أشجع) و (غطفان) ومع (بنی قریظه)، وبعض یهود المدینه؛ تحالفوا جمیعاً علی محاربه النبیّ صلی الله علیه واله.

وحینئذٍ تَمَّ رأی المسلمین علی أن یبقوا فی المدینه، ویحفروا بینهم وبین الأحزاب خندقاً عمیقاً وعریضاً.

وجاءت الجیوش المعادیه کالسیل الهادر یملأ السهل والجبل، فرأوا الخندق فقالوا: هذه حیله جدیده.

وجاء شجعانهم، وهما: (عمرو بن عبد ودّ، وعکرمه بن أبی جهل) واقتحما الخندق حتی توسَّطا بینه وبین المسلمین. فأخذا یطلبان المبارزه، فتقدم الإمام علی بن ابی طالب علیه السلام إلی أشجع العرب فی زمانه عمرو بن عبد ود فقتله. وبموته ساد الرعب فی صفوف الکفار.

وتبادل الفريقان المُراماه بالسهام. وبقيت الجيوش الكافره أكثر من عشرين يوماً، ثم رجعوا على أعقابهم خائبين بعدما كلَّفهم الأمر خسائر معنويه وماديه كثيره.

وشاع فى الجزيره العربيه خبر صمود المسلمين أمام القوى مهما تضاعفت وتجمَّعت. فهذا جيش الإسلام لم يتجاوز عدده ثلاثه آلاف، فى حين أن الكفار كانوا عشره آلاف. ومع ذلك كان النصر للإسلام.

وبغزوه الخندق انتهت السلسله الكبرى من حروب النبىِّ صلى الله عليه واله مع قريش، ولم يخض النبى بعدها أيَّه معركه، إلَّا فتح مكه التى لم تكن حرباً فى الواقع، بل كانت انتصاراً وغلبةً نهائيةً للمسلمين على الكفار.

وبقيت هناك سلسلتان من الحروب الإسلاميه:

الأولى: حروب المسلمين مع اليهود.

الثانيه: حروبهم مع القبائل العربيه الأخرى.

أما حروب المسلمين مع اليهود فَتُوجَزُ بما يلى: اليهود كانوا أحجاراً ناتئه ناشزه وضعت فى الجزيره العربيه لترد ما لحقهم من سيوف الملوك والسلاطين. وكانت الأكثريه الساحقه منهم تسكن فى المدينه، وهم بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظه ويهود خيبر، ويهود فدك، ويهود وادى قرن، ويهود تيماء.

فأما بنو قينقاع فقد كانت قبيله مهنيه تستولى على صياغه الجزيره. وقد ذهبت امرأه من المسلمين عند أحد الصاغه منهم فراودها ليكشف عن وجهها فأبت، فعمد اليهودى إلى طرف ثوب المرأه فعقده إلى ظهرها من حيث لم تعلم المرأه بذلك. فلما قامت انكشفت سوأتها فضحك

اليهودى منها، فصاحت تستصرخ المسلمين. فوثب أحد المسلمين وقتل اليهودى، فاجتمع اليهود وقتلوا ذلك المسلم.

ثم احتدم النزاع بين المسلمين واليهود، وجاء النبيُّ صلى الله عليه واله إلى اليهود ينصحهم بالدخول إلى الإسلام وقبول نُظمه المقدسه، فاستهزؤوا به، وطلبوا النزال. فذهب الرسول إلى حصونهم وحاصرهم خمسه عشر يوماً فانتهى إلى الصلح مع النبيِّ بالخروج عن المدينه مع أموالهم وذراريهم وخلَّفوا تركاتهم وأمتعتهم لتكون للمسلمين، ففعلوا ذلك وذهبوا إلى أطراف الشام.

وأما بنو النضير فقد كانت قبيله ثريّه تُعطى أموالها قرضاً للناس. فذهب النبيُّ صلى الله عليه واله إليها يطلب منها القرض، فأرادوا اغتياله، حيث أصرُّوا عليه بالدخول إلى دورهم فأبى ذلك، واتَّكأ على الحائط فأرادوا إلقاء حجر الدفن على رأسه من فوقه، فتنحى عنه، ورجع إلى المدينه قبل أن يقترض منهم، وأرسل إليهم أن اخرجوا من ديارى حيث نقضتم ميثاقى، وقد أجَّلتكم عشره ايام. فأخبروا النبيَّ صلى الله عليه واله بأنهم لن يخرجوا، فليفعل ما شاء.

فخرج النبى صلى الله عليه واله إليهم، وحاصرهم وهدم مساكنهم فأخذوا يتنقلون من حصن إلى حصن، حتى ضاق عليهم الأمر، فطلبوا من النبيِّ صلى الله عليه واله أن يخرجوا بأثقالهم عن المدينه، فلم يقبل منهم، فخرجوا وخلَّفوا أموالهم غنائم للمسلمين.

أما بنو قريظه فإنهم كانوا حلفاء للأوس، ثم أصبحوا معاهدين مع الرسول صلى الله عليه واله. ولكنهم انضموا إلى الأحزاب فى غزوه الخندق، فبعد انتهاء الغزوه بانتصار المسلمين أمر الرسول صلى الله عليه واله الجيش بالمسير

إلى بنى قريظه، فجاؤوا حتى حاصروهم مده خمسه وعشرين يوماً، ثم أراد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أن يقتحم حصونهم، فنزلوا على حكم رسول الله صلى الله عليه واله.

فأمر بهم فأُوثقوا. ثم جاء إليه بعض الأوس يستشفعونه فى أمرهم فقال لهم: ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم؟ قالوا: بلى. فاختاروا سيّدهم (سعد بن معاذ) فلما جاء سعد حكم فيهم بحكم التوراه (الكتاب المقدس الذى يتبعونه) بأن يقتل رجالهم، ويسبى نساءهم، فَفُعِلَ ذلك بهم.

وفى السنه السابعه من الهجره حيث تم صلح الحُديبيه فكّر النبىُّ صلى الله عليه واله فى محاربه يهود خيبر الذين كانوا يُكثرون الضغط على المسلمين ويعاونون أعداءهم عليهم دائماً. فلما سار إليهم الجيش كان لهم حصون سبعه كلها منيعه أشد ما تكون المنعه. فحاصروا الحصون مدةً مديده، حتى ضاق اليهود ذرعاً بالحصار، بيد أنهم قاوموا حتى فتح المسلمون- تحت قياده الإمام على بن أبى طالب عليه السلام- حصونهم واحداً تلو الآخر، وقتل الإمامُ أشجعَ أبطالهم (مرحباً)، وقلع الباب الكبير الذى كان يعجز عنه أربعون فارساً ورمى به بعيداً. وانتهت المعركه بقتل مائه من اليهود، واستشهاد سبعه عشر من المسلمين. وقد غنم المسلمون الشى ء الكثير من المال والسلاح والأسرى.

وبعد هذه الغزوه لم يبق لليهود شأن يذكر فى الجزيره العربيه فقد أصبحوا- بعدها- عبيداً فى حين كانوا قبلها أسياداً.

ولذلك فإن يهود فدك ويهود تيماء رضوا بأن تكون أراضيهم للرسول صلى الله عليه واله ويعملوا فيها على أن تكون الغله بينهما نصفين.

وكانت طائفه من اليهود فى وادى قرن لم يستسلموا للنبىّ صلى الله عليه واله فذهب الرسول إليهم، ونازلهم وحاربهم حتى قبلوا أن يكونوا مثل إخوانهم.

أما حروبهم مع سائر العرب فهى كما يلى:

١- بنو سليم ذهب إليهم الرسول صلى الله عليه واله بعد تجمعهم لمحاربته فى موضع كان يسمى ب- (الكدر) ولكنهم تفرّقوا خوفاً منه صلى الله عليه واله.

٢- (بنو ثعلبه) و (محارب) اجتمعوا تحت قياده رجل كان يدعى ب- (دعثور) فى واحه عطفان فى أطراف نجد، فرحل إليهم النبى صلى الله عليه واله وقبل أن يحاربهم اتَّفق أنه صلى الله عليه واله اضطجع على تلّ فعرف بذلك دعثور قائد الجبهه المعاديه فجاء إليه، ووقف على رأسه شاهراً سفيه وقال: من يمنعك منى؟ فقال النبى صلى الله عليه واله: «الله».

وفيما أراد دعثور إنزال سيفه دفعه جبرائيل فوقع بجانب التل، فوثب النبىُّ صلى الله عليه واله وأخذ سيفه ووقف عليه وقال: من يمنعك منى؟. فقال: عفوك. فعفا عنه النبى صلى الله عليه واله وأسلم، ودعا قومه إلى الإسلام ولم تقع محاربه قط.

٣- بنو سليم أيضاً أرادوا الحرب فخرج إليهم النبى صلى الله عليه واله فولَّوا هاربين قبل أن يلحقهم.

٤- بنو ثعلبه ومحارب، وبنو غطفان أيضاً، اجتمعوا للحرب فى نجد، فلحقهم الرسول صلى الله عليه واله ففرُّوا من وجهه قبل النزال وخلّفوا نساءهم وأموالهم غنيمةً للمسلمين.

٥- البدو فى دومه الجندل، وكانت هذه المنطقه قرب الشام،

وكانت هذه القبيله قد عاشت على السلب والنهب مما قَوَّض الأمن والاستقرار؛ فذهب النبيُّ صلى الله عليه واله لتأديبهم، بيد أنهم فرّوا هاربين قبل بلوغ النبى صلى الله عليه واله إلى هناك.

۶- ومن هـذه الحروب الحرب التى قامت بين المسـلمين والكفار فى مؤته، وانتهت بغلبه المسـلمين بعد تحملهم خسارات فادحه. ولكن هـذه الحرب لم تكن تختص بالنبى صـلى الله عليه واله مباشـره، ولـذلك فإنا نُعرض عن ذكرها كما نُعرض عن ذكر سائر الغزوات التى قام بها الجيش الإسـلامى دون أن يشترك فيها النبىّ صـلى الله عليه واله. ونعطف إلى ماهو المهمّ من أعماله صـلى الله عليه واله فى الحقلَين السياسى والدينى.

وإليك موجزاً لأهم الأحداث السياسيه والدينيه:

صلح الحـديبيه: منـذ أن أخرجت قريش المسـلمين وعلى رأسـهم رسول الله صـلى الله عليه واله عن وطنه مكه، كان يشـتاق إلى الرجوع إليها، لأنها البلد الأمين والمقدّس عند الله، ولأنها- مع ذلك- محطُّ أنظار العرب جميعاً.

ولكن الحروب والغزوات التى اكتنفت السـنوات السـبع بعد الهجره، والضـعف الذى كان يراه فى أصـحابه، منعاه من المسـير إلى مكه. ولـذلك فـإنه حين رأى الوقت مناسـباً عزم على الزحف إلى مكه وأعلن فى المسـلمين ذلـك، وقـال: إنه يريـد مكه لأـداء مناسك البيت فقط، فسار بألف وأربعمائه رجل من المهاجرين والأنصار.

بَيْـدَ أن كفـار قريش الـذين رأوا أن دخـول القـوم مكه بعـد أن أُخْرِجُوا منهـا من دون أن يلحقهم أذىً، إنَّمـا هو ضـعف وانهزام صريح

فى وجه المسلمين.

ولـذلك فإنهم أرادوا منعه منها، وأرسـلوا بطلائع من جنودهم ليقفوا فى وجه المسـلمين. وحين ذاك تنكّب النبىُّ صـلى الله عليه واله عن الطريق المألوف لئلا يصـطدم بهذه الطلائع. ولما عرف الكفار تنكُّبه، وأنه بلغ ثنيه المرار أسـفل مكه، أرسل النبى صـلى الله عليه واله أحد المسلمين يُنْبِئُ قريشاً بأنه لم يأتهم محارباً بل معتمراً.

وأرسـلت قريش سـفراء يريدون من النبى صـلى الله عليه واله الرجوع عن عزمه. وكانت من قبل قد أرسـلت سريه لمقاومه أعمال النبى صلى الله عليه واله، فأخذها المسلمون وحبسوا جميع أفرادها.

ولما أصرت قريش على منع النبىِّ صلى الله عليه واله عن البيت قال النبى لأصحابه:

«لَا نَبْرَحُ حَتَّى نُنَاجِزَ القَوْمَ»

وطلب من المسلمين البيعه فبايعوه على الفتح أو الشهاده.

وحينما بلغ قريشاً نبأ البيعه الجديده للنبىِّ صلى الله عليه واله هابوه فراسلوه على الصلح، فاصطلح معهم بما يلى وكان أهم بنوده:

١- إيقاف الحرب بين الفريقين لمده سنتين.

٢- القادم إلى المسلمين يُردّ وليس بالعكس.

٣- رجوع المسلمين هذه السنه وإتيانهم فى المقبله.

٤- يستطيع الفريقان قبول عهد من شاء.

وكـانت هـذه السـياسه السـليمه الـتى اتَّبعهـا النـبىُّ صـلى الله عليـه والـه هى الـتى فتحت عليه طرق التقـدم والنجـاح، حيث زحف المسلمون لمواجهه العالم الخارجى بعد أن أمَّنوا الجانب الداخلى، وكان بذلك الحدث التالى:

١- بعد هذا الصلح مباشره بعث النبيُّ صلى الله عليه واله رسائل إلى زعماء وملوك كافه الدول المجاوره. فراسل ملك الروم، والفرس، والحبشه، والقبط، كما أرسل رسائل إلى كلٍّ من أمير بصرى، وأمير دمشق، وملك البحرين، وملكَى عمان، وملك اليمامه بشأن الرساله التى حُمِّل مسؤوليه تبليغها. وقد كان لهذه الرسائل آثارها البعيده فى نشر لواء الإسلام ومحق آثار الكفر.

أما أجوبه هؤلاء فمنهم من أسلم، وهو كلٌّ من ملك الحبشه، وأمير البحرين، وملكَى عمان، فكان ذلك فتحاً مبيناً للإسلام. ومنهم من لم يسلم ولكنه احترم الرسول فايَّده، وهو كلٌّ من ملك الروم وملك القبط وملك اليمامه. ومنهم من أساء إلى الرسول واستهزأ به، وهو كلٌّ من ملك الفرس، وأمير بُصرى وأمير دمشق.

٢- وفى السنه التاليه- السابعه للهجره- اعتمر النبيُّ صلى الله عليه واله على رأس أصحابه الذين كانوا فى الحديبيه. وفسح الكفار المجال أمامهم، وخرجوا عن مكه لئلا يقع تضارب بين الفريقين- على ما كان يتضمنه أحد بنود الصلح الماضى-. وكانت هذه المره أول مره يدخل فيها النبيُّ صلى الله عليه واله مكه بعد هجرته عنها بسبعه أعوام.

٣- ورجع النبى صلى الله عليه واله إلى المدينه بعدما بقى فى مكه ثلاثه أيام. وبعد ذلك نقضت قريش بعض بنود الصلح بأن كانت قبيله تسمى بخزاعه (معاهده مع النبىّ)، وكان على قريش ألَّا تُحاربها وألَّا تُعين عليها أعداءها، لكنها فعلت ذلك.

وحلّ للنبى صلى الله عليه واله بذلك قتالها، فجمع أصحابُه وجمع من القبائل المسلمه التى كانت تقطن حول المدينه عدداً كبيراً، وزحف نحو مكه بعد

أن ملأ الطريق عيوناً ورقباء على السائرين، لكيلا يصل خبر خروجه إلى قريش فيتم الأمر بالحرب التى لا يريدها النبى صلى الله عليه واله أبداً.

ولما بلغ النبيّ صلى الله عليه واله بجيشه حى ظهران بقرب مكه، أمر أصحابه بأن يُكثروا من إيقاد النار، ففعلوا ذلك. فاسترهب ذلك قلوب الكفار أَيَّ استرهاب، وكان أبو سفيان يراقب طريق مكه إذ رأى النار فملكه الرعب؛ والتقى بالعباس- عمّ النبيّ صلى الله عليه واله- فحمله إلى النبى صلى الله عليه واله ودار بينهما محادثات تمت بإظهار أبى سفيان للإسلام وبإسلام بعض أبطال قريش وزعمائها قبله، ففقدت مكه قوَّتها، ومنعتها، ولم تملك قوةً تدافع ضد دخول النبيِّ إليها. وقد انتهج النبيّ صلى الله عليه واله مسلكاً فريداً فى هذا الهجوم العسكرى، وذلك بأن أعلن قبل الزحف إلى مكه أنَّ من ألقى السلاح أو دخل دار أبى سفيان أو دخل داره أو فناء الكعبه أو تحت لواء أبى رويحه فهو آمن. ثم أمر قواته بإحاطه البلد والزحف عليها من جميع جهاتها، وألَّا يقاتلوا إلَّا من قاتلهم. ثم دخل مكه من دون أن يعترض أحد طريقه إلَّا من جهه أسفل مكه حيث جاء منها خالد بن الوليد، وقَتل اثنَى عشر نفراً ممن عارضه، وقُتل من المسلمين واحد. ثم أعلن النبيّ صلى الله عليه واله فى البيت الحرام العفو العام عن المشركين جميعاً، أثناء خطبه ألقاها عليهم.

وبفتح مكه تمت السيطره المطلقه للمسلمين على الجزيره العربيه التى كانت تعتبر مكه دينها ودنياها معاً.

ثم أمر النبيّ صلى الله عليه واله بهدم الأصنام التى كانت تُعبد من دون الله فهدمت جميعاً. وبعد ذلك سمع النبيّ صلى الله عليه واله بأنَّ قبائل عربيه اتَّحدت تريد الانقضاض على مكه للقضاء على المسلمين، ومن بين تلك القبائل

هوازن وثقيف. فلما تحقق النبىّ صلى الله عليه واله الخبر جنَّد اثنى عشر ألفاً من المسلمين وتوجه إليها، فالتقى الجمعان فى وادى حُنين، حيث كان مضيق جبلىٌّ واقع بين جبلَين. وقد كان العدو قد سبق المسلمين إلى احتلال المواقع العسكريه فى الجبلين.

وحينما زحف المسلمون إلى العدو بين الجبلين انقض الكفار عليهم انقضاضاً، فهزمت طائفه منهم ثم التقت بالطائفه التى بعدها فسادت الفوضى فى الجيش الإسلامى، وهُزموا هزيمه قبيحه. بيد أن النبىّ صلى الله عليه واله بقى صامداً.

وبقى معه بعض المسلمين، ثم اجتمعت فلول المسلمين حتى كوَّنوا جبهه حاربوا بها الكفار وغلبوهم. وحيث إن الكفار كانوا قد أخرجوا جميع ممتلكاتهم ونسائهم إلى ساحه الحرب لعل ذلك يسبّب قوةً لمعنويات الجيش، فإن المسلمين ربحوا غنائم كثيره.

واستعمل النبىُّ صلى الله عليه واله تلك الأموال فى تأليف قلوب قريش، ثم عزم الرجوع إلى المدينه.

وقبل الرجوع أرسل سرايا من المسلمين فى ملاحقه المنهزمين من الكفار الذين أرادوا التجمع مره أخرى وإيقاد نار الحرب.

ومن تلك السرايا، قوه مسلحه إلى الطائف حيث تحصَّن الكفار فيها. بيد أن حصون الطائف كانت أمنع من أن يتغلب عليها المسلمون فرجعوا، وعندما بلغ النبىّ صلى الله عليه واله المدينه تقاطرت عليه الوفود من جميع أنحاء الجزيره يُعلنون دخولهم فى الإسلام، ويطلبون منه إرسال المبلّغين المرشدين لهم.

وفى السنه التاليه لفتح مكه نزلت سوره البراءه التى أعلنت انتهاء الدور المظلم للجزيره وابتداء الدور المشرق.

فأرسل النبى صلى الله عليه واله الإمام على بن أبى طالب إلى مكه حيث تلا هذه السوره فى الحجَّاج المحتشدين فى منى، وأعلن بصراحه منع دخول المشركين إلى المسجد الحرام؛ لأنهم نجس، ولأن الله برى ء منهم. كما أعلن أنه لا عهد ولا ذمه لمشرك، وأن دم كل مشرك حلال بعد أربعه أشهر.

وبعد هذا الإعلان لم يبقَ فى الجزيره من يظهر الشرك، إلَّا فلول منهزمه مختفيه على خوف من المسلمين. فأخذ الرسول يتأهب لمقاتله الروم، وقد كانت طلائعهم تستقى فى أرض الشام التى كانت إماره عربيه تابعه للأمبراطوريه الروميه. فزحف بالجيش الإسلامى، الذى كان عدده أكثر من ثلاثين ألفاً، وكانت الخيل عشره آلاف. وكان المسلمون مدججين بالسلاح الكامل.

وكان فعلُ النبىِّ صلى الله عليه واله ذلك بعد إشاعه راجت فى المدينه بأن جيش الروم قاصد لفتح الجزيره العربيه وإباده المسلمين. ولكن حينما وصل النبىُّ صلى الله عليه واله بجيوشه إلى تبوك عرف كذب الإشاعه، فصالح أهل تلك البلاد وملك الروم. ثم رجع بعدما جعل من أهل الحدود الشاميه الحجازيه مرابطين له ضد الأعداء، وبعدما زرع الخوف والذعر فى قلوب الرومانيين بمباغته المسلمين لهم.

وفى السنه العاشره بعد الهجره اعتزم النبىُّ صلى الله عليه واله أن يحج، فاجتمع إليه المسلمون من كل مكان. فلما اكتمل عددهم سار بهم إلى مكه حيث أراهم كيفيه الحج بعدما مُنع المشركون من إجراء مراسم الحج فى السنه التاسعه.

فلما أتم النبىُّ صلى الله عليه واله مناسكه خطب فى المسلمين خطبته المشهوره

التی بیَّن بها تعالیمه الدینیه والخلقیه ورجع قاصداً المدینه.

ولعل بعض من رافق النبیَّ صلی الله علیه واله فی هذه الرحله المقدسه لاحظوا بوضوح مظاهر القلق والاضطراب فی ملامحه کل حین، کأنّه یرید إبداء شی ء یخاف منه أو یرتقب فرصه أخری أفسح وأولی!!.

ولکنَّ هذه الحجه کانت الحجه الأخیره للنبیِّ صلی الله علیه واله. ولذلک سُمِّیت بحجه الوداع. ومن الضروری أن یُبیِّن فیها النبیُّ کل شی ء یتعلق بمصالح المسلمین وشؤونهم السیاسیه والدینیه. وإنّ أهم هذه الشؤون هی السلطه. فإذا تُوُفِّیَ النبیّ صلی الله علیه واله اختلفت العرب الذین لم یتسرّب الإسلام إلی قلوبهم کما هو فی واقعه، وتنازعت أمرها وذهب الدین ضحیهً للاختلاف.

ولقد أنبأه الوحی بأنَّ السلطه تکون من بعده لعلیِّ بن أبی طالب علیه السلام، أوّل من آمن بالله وبرسوله صلی الله علیه واله، وأشدَّ من أَبلی فی سبیله، وأقضی المسلمین وأفضلهم. ولقد ذکر النبیُّ صلی الله علیه واله ذلک للمسلمین مراراً إلَّا أن خوف النبیّ صلی الله علیه واله کان شدیداً علی مستقبل الأمه، حیث رأی فی المسلمین بعض الذین یهدفون للسیطره وقد التفوا حول النبیِّ لها فقط. فلما کان النبیُّ صلی الله علیه واله بمنزل (کراع الغمیم) من أراضی عسفان نزلت علیه الآیه المبارکه تقول: (فَلَعَلَّکَ تَارِکٌ بَعْضَ مَا یُوحَی إِلَیْکَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُکَ) (۱).

ولمّا بلغ غدیر خم نزلت علیه هذه الآیه: (یَا أَیُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَیْکَ مِنْ رَبِّکَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ یَعْصِمُکَ مِنْ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لا یَهْدِی الْقَوْمَ الْکَافِرِینَ) (۲)

.

۱- (۱) سوره هود، آیه: ۱۲.

۲- (۲) سوره المائده، آیه: ۶۷.

واطمأن النبی بنصره الله فی خلافه علی علیه السلام فعزم علی الأمر وأمر المسلمین بأن ینزلوا فی ذلک المکان وبأن یجتمعوا. فلما اجتمعوا قام فیهم خطیباً وأعلن خلافه علی علیه السلام قائلًا، بعد خطبه کریمه:

«أَلَا مَنْ کُنْتُ مَوْلَاهُ فَهَذَا عَلِیٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانْصُرْ مَنْ نَصَرَهُ، وَاخْذُلْ مَنْ خَذَلَهُ، وَأَحِبَّ مَنْ أَحَبَّهُ .....» (۱).

ثمَّ أمر المسلمین بالبیعه له، والسلام علیه بإمره المؤمنین. ولما تمَّ أخذُ البیعه جاءت الآیه الأخیره التی أعلنت إکمال الدین وتمامه: (الْیَوْمَ أَکْمَلْتُ لَکُمْ دِینَکُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَیْکُمْ نِعْمَتِی وَرَضِیتُ لَکُمْ الإِسْلامَ دِیناً) (۲).

وبعد رجوعه إلی المدینه سیّر جیشاً کبیراً فیه أبو بکر وعمر وکثیر من المهاجرین والأنصار، وأَمَّر علیه أسامه بن زید- وهو فتیً لم یبلغ العشرین-، سیّر هذا الجیش إلی الشام حیث قُتل جعفر وزید أبو أسامه القائدان للجیش الإسلامی.

ومع حِرصِ النبیِّ صلی الله علیه واله علی أن یخرج هذا الجیش فی أقرب وقت لیبعد العناصر الفاسده فی المسلمین الذین کان یخشی منهم علی مستقبل الأمه ومصیرها، فی حین کان یری اقتراب أجله. ومع ذلک فإن المنافقین أرجؤوه، حتی أمر النبی صلی الله علیه واله أسامه بکل إصرار علی متابعه سیره فعسکر بالجرف علی فرسخ من المدینه.

بید أنَّه اشتد خلال ذلک مرض النبی صلی الله علیه واله الذی کان سببه السم الذی سُقیه علی ما یذهب إلیه بعض الرواه، وقد دُسَّ إلیه بید بعض الیهود. فرجع أفراد الجیش إلی المدینه مع أن النبی صلی الله علیه واله لعن من

۱- (۱) بحار الأنوار: ج ۳۷، ص ۱۱۵.

۲- (۲) سوره المائده، آیه: ۳.

يتخلف عن الجيش أشد لعنه.

وفی الثامن والعشرين من شهر صفر من السنه الحاديه عشره بعد الهجره، وبعد ثلاث وستين سنه قضاها فی الله، ثلاثه وعشرين عاماً منها بصوره خاصه فی حمل الرساله العالميه إلی الآفاق، عشره منها فی مكه، وثلاثه عشر فی المدينه، الْتَحق النبی محمّد صلی الله عليه واله بالرفيق الأعلی؛ وكان ذلك فی ضحی يوم الاثنين من سنه (۶۳۳ ميلاديه).

وكانت وفاه النبی صلی الله عليه واله نكبه فادحه فی الإسلام لم يسبق لها مثيل، كما كان فيها انحراف مباشر لخط السير السريع لتقدم الإسلام.

وقام الإمام علی بی أبی طالب عليه السلام بمراسم الغسل والتكفين وصلَّی عليه هو والمسلمون، ثمَّ دُفِنَ فی بيته حيث مرقده الآن.

فعليك يا رسول الله أفضل الصلاه والسلام وعلی آلك الطيبين الطاهرين.

ص: ۵۲

الفصل الثَّالث: الخُلُقُ العَظِيْمُ

تعدّد الزوجات:

لقد حسب العدو أنه يستطيع أن يتخذ من تعدد زوجات النبيِّ صلى الله عليه واله نقطه ضعف ليفترى منها عليه من يشاء.

بيد أن الدراسه الواعيه لتاريخ النبيِّ صلى الله عليه واله، توحى بالفلسفه الواقعيه لزيجات رسول الإسلام، فإذا هى من صميم أخلاقه الطيبه، ومن مظاهر إنسانيته ونشاطاته الدينيه المقدسه.

ونحن إذ لا نستطيع أن نوجز ما يحتاج إلى سِفْرٍ فى صفحه، نأمل أن نُشير إلى موجز من فلسفه زيجات النبى صلى الله عليه واله، ومجملها أُبيِّنه فيما يلى:

١- إن الرسول صلى الله عليه واله لم يتزوج فى شبابه حينما تبلغ غريزه الإنسان الجنسيه منتهاها. بل اكتفى بالسيده خديجه وهى- كما يعلم الجميع- كانت امرأه ثَيِّباً، ولم يتزوج بامرأه بِكْرٍ إلَّا بعائشه، وذلك حيث لم تكن له زوجه، وكان بدء التبليغ الإسلامى وتأسيس شرائعه التى كانت تخالف الرهبانيه المسيحيه التى تحظر الزواج. وكان النبى يريد أن يكون عاملًا قبل أن يكون قائلًا ليكون أسوه حقه للمسلمين؟

٢- إن الرسول صلى الله عليه واله تزوج بنساء (أرامل) كانت العاده العربيه تنبذهن نبذاً، فتذهب الأرمله إما فاجره أو فقيره (معدمه). أولئك الأرامل اللاتى كانت الحروب الإسلاميه تكثر منهن. كما أنه تزوج بنساء لكى يستميل أهلهن إلى الإسلام.

فمن القسم الأول: أم سلمه وسوده بنت زمعه ورمله أم حبيبه وحفصه بنت عمر وميمونه وغيرهن.

ومن القسم الثانى: صفيه بنت ثابت أحد زعماء اليهود، ولعل النبى تزوج بها لتأليف قلوب اليهود الذين هُدّمت حصونهم، وأُبيد مجدهم. وجويره التى تزوجها بعد هزيمه أربابها فى غزوه بنى المصطلق، فأعتق بسببها كل من أسر من بنى المصطلق، وأسلموا ببركه هذا الزواج الميمون. أضف إلى ذلك كله أن النبىَّ صلى الله عليه واله لم يبعث إلى الرجال فقط بل إلى النساء أيضاً فكان يتصل هو مباشره بالرجال وبالنساء فيربيهم ويهذب نفوسهم. فإن لم يكن يتزوج هذا المقدار لم تتح له الفرصه الكافيه للاتِّصال بالنساء إلَّا من بعيد. وهو لا يكفى فى تربيه المرأه التى تؤهل لقياده النساء فكريًّا وتربويًّا.

ومع أن الرسول صلى الله عليه واله تزوج بهؤلاء النساء المختلفات الجنسيه، فقد استطاع أن يكون المثل الأعلى فى تدبير الشؤون العائليه مع ما كان له من مشاكل اجتماعيه بالغه التعقيد.

أما فى سائر الشؤون فقد استطاع النبىُّ صلى الله عليه واله بفكره وسعه صدره، وحسن تدبيره، وبما آتاه الله من تفوُّق كامل على جميع الناس فى جميع العصور، لقد استطاع: أن يُكَوِّنَ- وهو اليتيم المطارَد- من جحيم الصحراء العربيه، جنه البلاد الإسلاميه، ومهد الحضارات الإنسانيه.

ومن أهلها شر أهل الأرض وأسوئهم خُلقاً ومبدأ وعادات، كوَّن منهم قاده العالم وسادته على طول الخط، كما سبق تفصيل بعض أحداثه آنفاً. أفلا يدلّ هذا على حسن التدبير، وسعه التفكير، وجميل السيره والاكتمال فى السمو النفسى والعقلى.

أما إذا تكلَّمنا عن رحابه الصدر وسعه النفس فى مجال التدبير للشؤون الخاصه والعامه- إلى سائر مظاهر السمو النفسى والخلقى- فإنا يجب أن نعترف بالعجز عن التعبير الكامل عن كل جوانب التفوق والتسامى فى الأخلاق بالنسبه إلى النبى صلى الله عليه واله، الذى جعله الله خاتم النبيين الذين كانوا قاده النّاس وسادتهم فى كِلَا الحقلَين المادى والروحى.

ولقد احتج الإمام أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام بعجز الإنسان عن التعبير الكامل عن أخلاق النبىّ صلى الله عليه واله، احتج لذلك احتجاجاً لطيفاً بأن الله يقول فى كتابه: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَهَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا) (۱)، فى حين يقول فى آيه أخرى: (فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاهِ الدُّنْيَا فِى الآخِرَهِ إِلَّا قَلِيلٌ) (۲)، فالحياه الدنيا مع أنها قليله عند الله، فإنها لا يمكن الإحاطه بها، وإحصاء ما فيها .. فكيف بأخلاق النبى صلى الله عليه واله الذى يقول فيه الله تعالى: (وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ) (۳)، حيث عبّر عنه بالعظيم. فإذا لم يكن إحصاء القليل ممكناً فكيف يمكن إحصاء العظيم.

ومع كل ذلك فإنى أسرد لك شيئاً من مظاهر الْخُلُق العظيم،

۱- (۱) سوره إبراهيم، آيه: ۳۴.

۲- (۲) سوره التوبه، آيه: ۳۸.

۳- (۳) سوره القلم، آيه: ۴.

تاركاً الشى ء الكثير منه.

كان النبى صلى الله عليه واله أشجع، وأحلم، وأعدل، وأعف، وأسخى الناس جميعاً، وكان لا يبيت عنده دينار ولا درهم.

وكان أزهد الناس، وأبسطهم فى العيش، حيث كان يخصف النعل ويرقع الثوب، ويخدم فى البيت مع سائر أهل بيته.

وكان أشد الناس حياءً، فلا يثبت بصره فى وجه أحد أبداً.

وكان أسمح الناس وأسهلهم، وكان يُجيب دعوه الحر والعبد، ويقبل الهديه ولو أنها جرعه لبن، ويكافئ عليها أحسن مكافأه، وكان لا يستكبر عن اجابه أَمَهٍ أو مسكين.

وكان يغضب لله ولا يغضب لنفسه؛ ويُجرى حكم الله وإن تضرَّر هو أو أحد من أصحابه به. فقد أشار عليه أصحابه ذات مره بأن ينتصر على أعدائه المشركين بسائر المشركين، فأبى قائلًا:

«لَا نَسْتَنْصِرُ بِأَهْلِ الشِّرْكِ» (۱)

مع أنه كان أحوج ما يكون إلى ذلك.

وكان يربط الحجر على بطنه من الجوع، فإذا حضر الأكل، أكل ما وجد ولم يردّ شيئاً. وكان متواضعاً فى أكله، فلا يأكل مُتوكِّئاً، ولا على خوان، ويؤاكل المساكين، ويجالس الفقراء، ويكرم أهل الفضل، ولا يجفو أحداً.

أما فى شؤونه الاجتماعيه، فكان يعود المريض كائناً من كان وكيف كان، ويشيّع الجنائز، ويمشى وحده ولا يتخذ حاشيه أبداً. ويركب ما حضر إن فرساً، أو بغلةً، أو حماراً، إن حافياً أو ناعلًا، مع الرداء حيناً،

۱- (۱) شرح نهج البلاغه، ج ۱۴، ص ۲۲۷.

وحيناً بلا رداء وبلا عمامه ولا قلنسوه. ولكنه كان يسير بمظهر القوه لا الضعف، فإذا مشى اقتلع رجليه عن الأرض اقتلاعاً حتى كأنه ينحدر من علٍ.

وكان يحب الطِّيب حبًّا جمًّا، وكان له عبيد وإماء، ولكن لم يكن يترفع عليهم أبداً.

وكان لا يمضى عليه وقت ليس فى طاعه الله.

وكان يبدأ مَنْ لقيه بالسلام، ومن قام معه فى حاجه سايَرَه حتى يكون هو المنصرف.

وكان إذا لقى أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحه، ثم أخذ يده وشابكه ثم قبض عليها.

وكان لا يجلس إليه أحد وهو يصلِّى إلَّا خفَّف صلاته والتفت إليه قائلا: ألك حاجه؟. فإذا تمت حاجته قام إلى صلاته.

وكان أكثر جلوسه جلسه التواضع وهى أن يرفع ساقيه ويمسكها بيديه، ويجلس حيث ينتهى به المجلس. وما رؤى قط مادًّا رجليه بين أصحابه، وكان أكثر ما يجلس يستقبل القبله. وكان يُكرم مَنْ يدخل عليه؛ حتى ربما بسط ثوبه لمن ليس بينه وبين الرسول قرابه. وكان يُؤثر الداخل عليه بالوساده التى تكون تحته فإن أبى عزم عليه حتى يقبل.

وما استصغاه أحد إلَّا ظن أنه أكرم الناس عليه، حتى أنه كان يُعطى كل من جلس إليه نصيبه من وجهه ونظره.

ولقد كان يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم وتعظيماً، فإذا لم يكن لأحد كنيه كنّاه من جديد حتى يُكنَّى بها.

والمرأه إن كان لها ولد كنَّاها به، وإن لم يكن لها ابتدأ بكنيه لها جديده. حتى الصبيان فإنه كان يكنيهم. وكان أبعد الناس غضباً على أحد، وأسرعهم رضاً، وأرقهم لهم قلباً، وخيرهم لهم نفعاً.

وكان إذا جلس مجلساً قال:

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ. أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوْبُ إِلَيْكَ» (۱).

وكان إذا جلس بين أصحابه لا يُعرف أيهم محمد صلى الله عليه واله لاختلاطه بهم. فلما كثر الوافدون الذين كانوا يسألون عنه أمام عينيه قائلين: أيُّكم محمد!. صنع له دكه من طين. وكان يقول:

إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ!.

أما صلته بربه فلقد كان نبيَّ الإسلام، أخشى الناس لربه، وأتقاهم له، وأعلمهم به، وأقواهم فى طاعته، وأصبرهم على عبادته، وأكثرهم حبًّا له، وأزهدهم فيما سواه. فكان يصلِّى حتى انشقت بطن قدَميه من كثره الصلاه. فإذا وقف إلى الصلاه انهمرت دموعه، وارتجت البقعه بنشيجه وضراعته. وكان يصوم حتى يقال: إنه لا يفطر، ويفطر حتى يقال: إنه لا يصوم. وكان نظيف الجسم، طاهر الثياب، يرجّل جمته، ويسرّح لحيتَه، ويستاك، ويعطِّر جسده، حتى كان يشم منه الرائحه الطيبه من بُعد، ويعرف الشخص الذى يصاحبه أو يجالسه أنه قد التقى به بما يسرى منه إليه من العطر. ويطعم الجائع، ويكسو العارى، ويُركب الراجل، ويُعين ذا الحاجه فيها، ويقضى دين المَدين.

وكان أشجع الناس، حتى قال الإمام على عليه السلام:

«لَقَدْ رَأَيْتُنِى يَوْمَ بَدْرٍ وَنَحْنُ نَلُوذُ بِالنَّبِىِّ صلى الله عليه واله وَهُوَ أَقْرَبُنَا إِلَى الْعَدُو، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ

۱- (۱) مستدرک الوسائل، ج ۱۵، ص ۴۲۸.

يَوْمَئِذٍ بَأْساً» (۱).

وقال علیه السلام أیضاً:

«كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صلی الله علیه واله، فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ»س (۲)

. وكان أجود الناس كفًّا، وأصدقهم لهجةً، وأوفاهم ذمةً، وألينهم عريكةً، وأوسطهم نسباً. من رآه هابه، ومن خالطه أحبه. ما سُئِلَ شيئاً إلَّا أعطاه. وإن رجلًا أتاه سائلًا فأعطاه غنماً سدّت بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: أسلموا فإن محمداً صلی الله علیه واله يعطی عطاء من لا يخشى الفاقه.

وكان يُنكر كلَّ منكر، ويأمر بالمعروف.

وكان- أخيراً- قدوةً لكل خير، وأسوةً فی كل فضل، ورائداً إلى كل ما ينفع الإنسان فی العالمين.

فعليه وعلى آله أفضل الصلاه والسلام.

۱- (۱) بحار الأنوار، ج ۱۶، ص ۲۳۲.

۲- (۲) بحارالأنوار، ج ۱۹، ص ۱۹۱.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامي عام ۱۴۲۶ الهجرى في المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين في الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر في العلوم الإسلامية وتبعثرها في أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية في أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين في العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهي منظمة في برامج إلكترونية وجاهزة في مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبيّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ في المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة في الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين في الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها في ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمي البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات
من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:
طبع الكتب والملزمات والدوريات
إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب
إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية
إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية
افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com
إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...
الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها
تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسک kiosk، الرسالة القصيرة ((sms
إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس
إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين
إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛
١.JAVA
٢.ANDROID
٣.EPUB
٤.CHM
٥.PDF
٦.HTML
٧.CHM
٨.GHB
إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية
١.ANDROID
٢.IOS
٣.WINDOWS PHONE
٤.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقدم بكلمة الشكر والتقدير إلى مكاتب مراجع التقليد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فی تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المكتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البيع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمين ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبهان
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹